الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري

مطبوعة أمالي موجهة لطلبة السنة الاولى ماستر علم الاجتماع

تخصص : علم الاجتماع الحضري

السداسي الثاني

إعداد الدكتور: هاشمي بريقل

الموسم الجامعي: 2020-2021

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

محاضرات السنة أولى ماستر علم الاجتماع الحضري

السداسي الثاني

مقياس : تحليل نقدي للنظريات الاساسية في علم الاجتماع الحضري

الدكتور : هاشمي بريقل

السنة الجامعية 2021/2020

----------الفهرس----------

تمهيد..... 5

المحاضرة الأولى : مفاهيم ومصطلحات

1- علم الاجتماع الحضري..... 7
2- تعريف المدينة..... 8
3- النظرية 12
3-1-خصائص النظرية 13
3-2-وظائف النظرية 14
4- التحضر 15
5- الحضرية 18
6- عوامل التحضر 21
7- مؤشرات التحضر..... 31

المحاضرة الثانية : النظريات والمقاربات السوسيولوجية

1- العوامل الاجتماعية وتطور النظرية السوسيولوجية 46
1-1- الثورات السياسية 46
1-2- الثورة الصناعية الرأسمالية..... 47
1-3- الثورة العلمية..... 47
1-4- التغير الاجتماعي والثقافي..... 48
2- التحضر والنظرية السوسيولوجية..... 49

المحاضرة الثالثة: المدينة عند ماكس فيبر

1- الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر في علم الاجتماع..... 52
2- النماذج المثالية عند ماكس فيبر..... 54
3- علاقة النماذج المثالية بالواقع..... 54
4- السلطة عن ماكس فيبر 55
5- البيروقراطية والعقلانية عند فيبر..... 57
6- النموذج المثالي للبروقراطية عند فايبر..... 58
7- التغير والتنظيم الاجتماعي..... 59

المحاضرة الرابعة: مقاربة جورج زيمل

1- طبيعة المجتمع عند جورج زيمل في علم الاجتماع..... 62
2- المنهج العلمي والنماذج المثالية جورج زيمل..... 63

3- التفاعل الاجتماعي.....66
4- النمط الجماعات الثنائية أو الثلاثية عند زيمل 67
5- التفاعل الثقافي عند زيمل.....67
6- الحياة البشرية عند زيمل.....68
7- مقاربة زيمل للنظرية السوسيولوجية 69

المحاضرة الخامسة: مقاربة موريس هالبوكس

1-موريس هالبوكس والذاكرة الجمعية.....72
2- المورفولوجيا الحضرية عند موريس هولبواكس.....74
3- هولبواكس والسوسيولوجية الحضرية 76

المحاضرة السادسة: مدرسة شيكاغو و ابدعاتها

1- الحضرية ومدرسة شيكاغو.....80
2- التمييز بين الريف والحضر 81
3- استخدام المعيار الواحد في تمييز الريف من الحضر.....82
4- استخدام مركب السمات في تمييز الريف من الحضر 84
5- المتصل الريفي الحضري ودراسة الفروق الريفية الحضرية 87
6- خصائص الحياة الحضرية.....88
7- مشكلات المجتمع الحضري 92

المحاضرة السابعة: المدرسة الفرنسية ومقاربة شومبارت دلو

1- المجال الحضري في مقاربة شومبارت دلو.....98
2- المجال الخاص والتفسير الثقافي للمسكن.....101
3- امتلاك المجال عند شومبارت دلو.....103

قائمة المراجع 106

تمهيد

على الرغم من أن الاهتمام العلمي بدراسة المدينة قديم نسبيا، إلا أن علم الاجتماع الحضري لم يتطور بشكل ملموس إلا خلال العقود القليلة الأخيرة، فمنذ بدايات القرن السابع عشر أبدى المخططون والمهندسون المعماريون والسياسيون والاقتصاديون اهتماما ملحوظا بتسجيل التطورات والمشكلات التي تعرضت لها المدن الغربية على وجه الخصوص، غير ان القرن العشرين قد شهد اهتماما لم يسبق له مثيل بالظواهر الحضرية المختلفة.

لقد أصبحت المدينة تشكل موضوعا أساسيا للعلوم الاجتماعية مجتمعة بحيث يصعب على علم بعينه فهم الواقع الحضري بمختلف جوانبه، وإذا كانت المدينة بحاجة إلى جهود علماء الاجتماع، فإنها بحاجة أيضا إلى علماء الاقتصاد والسياسة والانتربولوجيا والجغرافيا والسكان والتاريخ.

ان تنوع مداخل دراسة المدينة لا يعني العزلة العلمية بقدر ما يعني الثراء الفكري، خاصة اذا ما كان الاهتمام متعلقا بظاهرة معقدة متعددة الجوانب كالمدينة، وليس غريبا ان تكون المدينة موضوعا اساسيا من موضوعات العلوم الاجتماعية بينما تفرض المشكلات الحضرية نفسها فرضا على عالمنا المعاصر ، واذا كان يحلو لبعض العلماء والمفكرين

تعتبر المدينة ظاهرة اجتماعية ارتبط وجودها بوجود المجتمع الإنساني، و اختلف نمطها باختلاف المراحل التاريخية والاقتصادية التي قطعتها الإنسانية و كانت محل اهتمام الباحثين و الفلاسفة عبر العصور

المحاضرة الأولى : مفاهيم ومصطلحات

1-علم الاجتماع الحضري

2-تعريف المدينة

3- النظرية

3-1-خصائص النظرية

3-2-وظائف النظرية

4- التحضر

5- الحضرية

6- عوامل التحضر

7- مؤشرات التحضر

1-علم الاجتماع الحضري

علم الاجتماع الحضري هو قسم من أقسام علم الاجتماع ،موضوعه الحياة المدينة بما فيها تحليل المدينة كظاهرة اجتماعية مستقلة ،ودراسة مشكلاتها الاجتماعية والحضارية والإقليمية،وكانت نشأته الاوروبية والأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر ،وأوائل القرن العشرين.

يهتم علماء علم الاجتماع الحضري من الامريكيين المعاصرين بالمشكلات البيئية في المدن الكبرى، حال كل من بارك ،وبرجس ،و مكينزي،من ممثلي المدرسة الحضرية لجامعة شيكاغو . كما اهتموا بمشكلات تضخم المدن الناجمة عن المناطق الدائرية حولها ،وذات البيئات المختلفة[1] .

***علاقة علم الاجتماع الحضري بعلم الاجتماع العام**

يعتبر علم الاجتماع الحضري ميدانا معرفيا وتطبيقيا لعلم الاجتماع العام، لأنه يستخدم نظرياته ومناهجه في دراسة المدينة التي تتجاذبها عدد من العلوم الإنسانية والاجتماعية. وانطلاقا من ذلك تتجسد هذه العلاقة بين علم الاجتماع الحضري وعلم الاجتماع العام على مستويات ثلاثة هي: الموضوع والنظرية والمنهج.

فقد أشار **سيجوبرج** إلى أن علم الاجتماع الحضري في سياقه العام بمثابة الدراسة السوسيولوجية للمدينة ولحياة المدينة الحضرية، وبذلك فهو امتداد للدراسة السوسيولوجية لعلم الاجتماع والذي يهتم بشؤون المجتمع البشري بوجه عام. وإذا كانت العلاقة بين علم الاجتماع الحضري وعلم الاجتماع قوية من حيث موضوعات الدراسة، فمما لا شك فيه أن الذي يصيغ دراسته بالطابع السوسيولوجي هو اتساقه

[1]- صلاح الدين شروخ: منهجية البحث العلمي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة ، الجزائر ، 2003، ص95.

من حيث الأطر النظرية، والأسس المنهجية مع النظريات السوسيولوجية لعلم الاجتماع، وكذلك مع المناهج وطرق وأساليب البحث التي يقوم عليها هذا العلم.[1]

2- تعريف المدينة

يمكن وضع مجموعة من التعريفات لبض العلماء البارزين في مفهوم المدينة ومميزاتها على النحو التالي :

- تعريف المدينة عند روبيرت بارك

يرى روبيرت بارك ان المدينة ليست مجرد تجمعات سكانية ، كما انها ليست مجموعة من النظم والادارات السياسية والقانونية والمستشفيات والمدارس ، بل هي اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد الى جانب الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في العادات ..

- تعريف المدينة عند فرديناند تونيز

لقد ميز فرديناند تونيز بين مجتمعين الأول ذو الطابع العائلي أو المجتمع المحلى ثم المجتمع ذو الطابع الرسمي أو العقدي نسبة الى (علاقة العقود الرسمية) التي بها يشتغل هذا المجتمع ، فلا شك اذن أن تونيز قصد بالمجتمع الرسمي أو العقدي المجتمع المدني أو المدينة بلغة العصر و التي تتميز بمجموعة من الشروط و الخصائص ، كما هو جدير بالذكر أنه قدم الاساس المنطقي النظري لتعريفات الدراسات الحضرية أو التي بها نميز المدينة عن غيرها .

ولعل هذه الاسس التي تحدث عنها تونيز ترتكز على النظم و المؤسسات الحضرية المميزة و التي تطورت فيما بعد في الثراث " دراسة المجتمع المحلي "

[1] سعيد ناصف، مرجع سابق، ص ص . 40.39.

داخل مجال علم الاجتماع الحضري، ان تونيز حينما يصف لنا المجتمع المحلي أو العائلي فهو يصفه بكونه يضم كل العلاقات التي تنج عن العاطفة و العادات و المعتقدات العامة و الثقافة المشتركة اذ تتميز هذه المجتمعات بالألفة و الثبات ووضوح الادوار و عدم تصارعها الى جانب سيطرة الشعور بالجمعية و يعني تونيز هذه المجتمعات بالريفية أو القروية .

أما في وصفه للمدينة فيذكر فرديناند تونيز المجتمع الذي سماه بالرابطة أو المجتمع ، وهو مثال أو نمط مختلف للعلاقات الاجتماعية التي تتمز بصفة تعاقدية و الروابط غير الشخصية و النفعية بين الافراد و العقلانية و سيطرة الفردية و المصلحة الخاصة ، ان تونيز يعني بالمجتمع أو الرابطة أو الطابع الرسمي فكلها أوصاف تدل على المدينة أو الحضرية .

- تعريف المدينة عند ماكس فيبر

" مكان اقامة يعيش السكان فيها على اساس التبادل والتجارة اكثر من الزراعة ، ويرى ان السوق المحلية جزء اساسي من حياة الناس 1"

- تعريف المدينة عند كارل ماركس

ناقش كارل ماركس فصل المدينة عن الريف واعتبر ذلك اساس تقسيم العمل، ان العلاقات بين الريف والمدينة تتميز بالتصادم والصراع ويمكننا ملاحظة هذا التصادم في الكثير من المستويات منها :

[1] - احلام طواهرية: رؤية برنامج استراتيجية تنمية المدن التابع لمنظمة تحالف المدن في تخطيط المدن، دراسة تحليلية لاليات تفعيل البرنامج في الجزائر – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية تخصص ادارة الجماعات المحلية والاقليمية ، جامعة قاصدي مرباح، ص 21.

ان المدينة هي مكان ترتكز فيه السكان وانتاج راس المال، ووسائل الانتاج بينما يمثل الريف عكس ذلك .

الاساس المادي للمدينة يبنى على العمل والتبادل وليس على الارض ، وهنا ايضا يمثل العمل أهم شيء.

المدينة هي مكان تطور العلاقات الاجتماعية التي تتميز بنوع من الترابط المادي فالناس يحتاجون الى بعضهم البعض، كل حسب نشاطه الخاص يلجأ الى المركز بتقديم مصالحه الخاصة وهذا ما يؤدي الى المنافسة والعزلة.

- تعريف المدينة عند ايميل دور كايم

اهتم دور كايم بالتحضر والحياة الاجتماعية في الوسط الحضري ظهر من خلال تركيزه على ما اسماه بـ "المرفولوجية الاجتماعية" ويعني بها على الاساس النظري لدراسة المشكلات ارتكازا على مؤشرات ومحددات ومقاييس خارجية ملموسة ومتطورة، كالتركيز السكاني، الحجم ، الكثافة، فهو يفسر الظاهرة الحضرية من منطلقين هما:

الكثافة الاخلاقية والكثافة المادية : يقول دور كايم ان مجرد التجمع يؤثر تاثيرا قويا ، فعندما يجتمع الافراد ينتج من تقاربهم نوع من الانتقاء يحملهم سريعا الى درجة عالية من التحمس ، فالتجمعات الدورية تمكن الجماعة من البقاء والمحافظة على قيمها الاخلاقية لان هذه القيم لا يكون لها وجود الا ضمن الافعال الجماعية.

التضامن الالي والتضامن العضوي: تتمثل في نظريته العامة عن "حالة المجتمع"، فالحياة الاجتماعية حسب مفهومه لها معنيين : التجانس وتقسيم العمل، فتجانس الضمائر يميز المجتمعات غير المنظمة أي ان الضمائر والتنظيمات تتشابه الى درجة ان الفرد يندمج كلية في الجماعة، فتكون العادات والتقاليد هي التي تتحكم في

ابسط الامور الفردية، اما تقسيم العمل فيبقى اساسا ميزة المجتمعات الحديثة، فبالإضافة إلى زيادة الحجم والكثافة يزيد الاختلاف بين الدوائر الفردي فلكل مجاله الخاص دون الانفصال عن الاخرين.

- تعريف المدينة عند ماكس فيبر

لا تختلف المدينة بالنسبة له عن التصور الشائع الذي مفاده انها عبارة عن منطقة مستقرة وكثيفة بالسكان المتزاحمين غير المتعارفين، وتظهر فيها اعلى درجات الفردية والمقصود ليس وصف اسلوب واحد للحياة، وانما وصف مجموعة بناءات اجتماعية يمكن ان تؤدي الى ظهور انماط متعددة وملموسة في اساليب الحياة ولذا فان المدينة على هذا الاساس تمثل بناءات اجتماعية تشجع الفردية الاجتماعية والتجديد وهي بذلك وسيلة للتغير التاريخي.

- تعريف المدينة عند جورج زيمل

ركز جورج زيمل في تحليله للمدينة على الجانب الفكري والاتجاهات والمشاعر، وان التحليل السوسيلوجي للمدينة يجب ان يتجه الى دراسة الصور النفسية للحياة الانسانية في بيئة حضرية، وهكذا فإن المدينة تصنع عقلية افرادها التي بدورها تصنع المدينة مرة اخرى ، الذي يتجلى في تنظيمها وذلك من خلال ثلاث مستويات اساسية هي[1]:

المستوى المادي الهيكلي التخطيطي لمدينة الذي يلاحظ في المسكن او الشارع او الحي او المدينة ككل.

[1] – رضا زراولية : التحضر والصحة في المجتمع الجزائري، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستر تخصص علم الاجتماع الحضري، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2011 ، ص31.

المستوى الاقتصادي القائم على الصناعة والتبادل وعلاقات المصلحة والمنفعة والتعاقد.

مستوى المؤسسات الرسمية التي تنظم الحياة في المدينة مثل: مؤسسات الضبط وحفظ الامن والسهر على مصالح السكان .

3-النظرية

تعريف النظرية : تعريف النظرية عند كل من[1] :

جلاسير وشتراوس :"استراتيجية بحثية تقدم نماذج من مفاهيم تساعد الباحث في الشرح والتفسير الاجتماعي"

بلالوك :"أشبه بالقوانين تربط بين متغيرين أو أكثر في نفس الوقت"

تعريف تيماشيف

مجموعه من القضايا التي يجب أن تتوافر فيها الشروط التالية:

ينبغي أن تكون المفهومات التي تعبر عن القضايا محددة بدقة.

يجب أن تتسق القضايا الواحدة مع الأخرى.

أن توضع في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا.

أن تكون هذه القضايا مثمرة وتكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى وتعميمات تنمي مجال المعرفة.

رينولدز :"قوانين من العلاقات المتكاملة على درجة معينة من الصدق في تفسير ظواهر المجتمع ومشكلاته"

دينكن :" النظام التجريدي الذي يجمع بين الافكار ويوحد بينها، ويضعها في قالب يعكس معنى المفاهيم التي يطرحها العالم في سياق ابحاثه الاكاديمية "

تعريف Rosental et Yadin [2]

تعتبر بمثابة نسق من المعرفة التعميمية وتفسير للجوانب المختلفة للواقع، وأنها ترتبط بأشياء ومصطلحات أخرى مع أنها تختلف عنها في بعض الجوانب والوظائف، وإذا كانت كل نظرية أو نسق ما هي إلا إطار فكريا، فهي بصورة عامة نسق معقد.

---

[1] – خواجة عبد العزيز: اساسيات في علم الاجتماع ، دار نزهة الالباب للنشر والتوزيع، غرداية، 2012، ص 193.

[2] – عبد الله محمد عبد الرحمن: النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2006،ص 59.

3-1-خصائص النظرية[1]

المكونات: تتحدث طبيعة مكونات النظرية باعتبارها نسق استنباطي يتضمن مجموعة من الفروض التي تحتل مكانة للمقدمات وأخرى للنتائج التي يتوصل إليها، كما تشمل النظرية أيضا مجموعة من المفاهيم والقضايا والقوانين التي يمكن التوصل إليها أو صياغة تعميمات حولها.

الشروط: يجب أن تكون النظرية واضحة ومحددة وموجزة وشاملة وقابلة للاختبار وقادرة على التنبؤ العلمي، ولعل من أهم الشروط التي حددت للنظرية، تلك الشروط التي صاغها علماء المناهج والبحث الاجتماعي، الذين ركزوا على وضوح المفاهيم، واتساق الأفكار والتصورات، واستنتاج القوانين.

الخصائص: تعتبر النظرية بمثابة الإطار الفكري التصوري الذي يجمع الحقائق والمعرفة والنتائج التي يتوصل إليها الباحثين بصورة غير مرتبة ودقيقة، ومن ثم تجيء خاصية النظرية وسماتها، بأنها تقوم بتجميع هذه الحقائق والمعرفة والنتائج، بصورة يسهل عن طريقها إعادة دراستها أو تحليلها، وذلك من أجل تطويرها أو تحديثها حتى تكون مرتبطة بالواقع المتغير، كما تتسم النظرية بخاصية أخرى وهي أن صياغة النظريات لا تكون صياغة استاتيكية جامدة بقدر ما تتسم بالمرونة والتجديد والتطبيق والممارسة.

3-2-الوظائف

للنظرية السوسيولوجية مجموعه من الوظائف التي تؤديها لخدمه الباحثين والبحث العلمي، ولقد عبرت أو طرحت هذه الوظائف في كتابات العديد من علماء البحث والنظرية الاجتماعية من أمثال كل من "جود" و"هات" اللذان أشارا إلى مجموعه من الوظائف وهي:

---

[1] – عبد الله محمد عبد الرحمن: النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2006،ص 61.

- ✓ تحديد أنواع البيانات وتجريدها. إعطاء معنى لنتائج البحث بتوجيه المفاهيم .
- ✓ تقديم إطار تصوري يقوم بتنظيم وتصنيف الظواهر المدروسة، وتوجيه عملية البحث بصياغة الفرضيات والإطار المرجعي
- ✓ الوصول إلى الحقائق وإصدار التعميمات حولها.
- ✓ تساعد على التنبؤ. قاعدة تصورية منطقية للتنبؤ الاجتماعي
- ✓ تساعد على تحقيق المزيد من المعرفة الإنسانية بصورة مستمرة ، وإثراء البحث بالعلاقة المتبادلة بين البحث والنظرية
- ✓ الاستقراء والاستنباط في مختلف أشكالهما بين الميداني والنظري .

4 – التحضر

للتحضر معان كثيرة استخدمها علماء الاجتماع للإشارة إلى العمليات التي يتم من خلالها اكتساب النمط الحضري ، كما استخدمه الآخرين للإشارة إلى الثقافة الحضرية .

ويشير المعنى العام للتحضر إلى " أنه ظاهرة اجتماعية جغرافية ينتقل السكان في ظلها من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية ، وبعد انتقالهم يتكيفون بالتدرج مع طرق الحياة وأنماط المعيشة الموجودة في المدن ، وهو أساسا يعني تمركز السكان في المدن ويؤدي إلى تغيير اجتماعي وثقافي ،و تدعيم الروح الفردية في العلاقات التي تصبح ثانوية بعدما كانت أولية في القرية ." [1]

وفقا لهذا التعريف يشير التحضر إلى مختلف العمليات الاجتماعية الأساسية التي تصاحب عملية التحضر وتفرضها الحياة الاجتماعية الحضرية وهي :

- الحراك الجغرافي للسكان .
- التمركز السكاني في المدن .
- التكيف التدريجي للسكان مع شروط الحياة في المدينة .
- التحول في العلاقات الاجتماعية من العلاقات الأولية إلى العلاقات الثانوية .
- الاتجاه نحو الفردية .

والتحضر كما عرفه " **عبد المنعم شوقي** " هو العملية التي تتم به زيادة سكان المدن عن طريق تغير الحياة في الريف من حياة ريفية إلى حياة حضرية ، أو عن

[1] – فوزي رضوان العربي : أنماط التجمعات في الوطن العربي ، في كتاب ، دراسات في المجتمع العربي ، اتحاد الجامعات العربية ، الأمانة العامة ، 1985 ، ص 137– 138 .

طريق هجرة القرويين للمدن المقصودة ، بما في ذلك التغيرات التي قد تحدث لطبائع وعادات وطرق معيشة سكان الريف حتى يتكيفوا للمعيشة في المدن .[1]

هذا التعريف لا يختلف كثيرا عن المعنى العام للتحضر ، حيث أشار صاحب التعريف إلى العمليات الأساسية المصاحبة للتحضر وهي :

- التحضر عملية تتم من خلالها زيادة عدد سكان المدن عن طريق الهجرة .
- التغير الذي يحدث لطبائع الناس وعاداتهم (عملية التكيف) .
- اكتساب الطابع الحضري .

ولكن يجب أن ننوه إلى أن عملية التكيف واكتساب الطابع المميز للحياة الحضرية، يتطلب وقتا طويلا و لا يحدث بصفة آلية بمجرد الانتقال إلى السكن في الحضر .

ويمكن أن نميز بين خمسة معاني للتحضر ، وتتمثل في المعنى الجغرافي والديموغرافي والايكولوجي ، والتنظيمي والسوسيولوجي ، وسنعتمد في عرض هذه المعاني على كتابات " **محمد بومخلوف** " :[2]

4-1- المعنى الجغرافي : يشير التحضر في معناه الجغرافي إلى اتساع الرقعة الجغرافية الوطنية للتجمعات السكنية الحضرية ، سواء بتوسع التجمعات الحضرية القائمة نحو محيطها الريفي أو بتحول القرى إلى تجمعات حضرية ، بسبب ما يطرأ عليها من تحول اقتصادي أو إداري أو غير ذلك أو بظهور تجمعات حضرية جديدة تماما ، كما في حالة المدن الجديدة والمدن الصناعية وأن التوزيع الجغرافي للمدن على الرقعة الجغرافية الوطنية له دلالة بالغة الأهمية وعلى أكثر من صعيد

[1] – عبد المنعم شوقي : مجتمع المدينة – الاجتماع الحضري – بيروت ، دار النهضة العربية ، ط07 ، 1981 ، ص 23 .

[2] – محمد بومخلوف: المرجع السابق ،ص 25

اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا واستراتيجيا ، فهو مؤشر على الصحة الحضرية للمجتمع.

4-2- المعنى الديموغرافي : يشير إلى ازدياد عدد سكان التجمع السكاني الحضري إحصائيا نتيجة لعمليتين ديموغرافيتين أساسيتين هما: النمو السكاني الطبيعي والنمو السكاني الناتج عن الحركة الجغرافية للسكان من الريف إلى المدينة.

4-3- المعنى الايكولوجي : يشير هذا المعنى إلى جانب البيئة الناتجة عن عملية التحضر من ازدياد عدد البنايات وتجاورها وتوسع حجم المدينة ، وارتفاع كثافتها وظهور الأحياء والمناطق ذات الأنشطة المتخصصة ، ينتج عن كل ذلك بيئة اجتماعية خاصة ، تتميز بعلاقات جوار خاصة وكثافة التفاعل الاجتماعي والاتصال المباشر وغير المباشر ، ولذلك فان البيئة الحضرية قد تؤدي إلى تلاقح الأفكار وانتشارها وتبادل الخبرات وما يتولد عن كل ذلك ابتكار وإبداع فتتحول إلى بيئة إشعاع فكري وثقافي وحضاري ، وذلك لان البيئة الحضرية بطبيعتها توفر فضاء واسعا للحرية والتفاعل ، وتتميز بالتباين الشديد والمجهولية والميل نحو الفردية والنفعية في العلاقات الاجتماعية ، وهكذا فان التحضر يؤدي إلى إنتاج بيئة ذات طبيعة خاصة.

4-4- المعنى التنظيمي : المدينة هي تنظيم اجتماعي كبير ، تبرز فيه سيطرة الإنسان على المجال والنشاطات والعلاقات الإنسانية بوضوح ، بفضل التنظيمات المختلفة التي تسهر على ضبط الحياة الجماعية وعلاقاتها في البيئة الحضرية بصورتها السابقة من اجل ضمان فعالية هذا التجمع البشري الكبير ،و ابرز مظهر تنظيمي يصاحب التحضر يتمثل في نظام الضبط الاجتماعي الذي ينتقل من الاعتماد على الأعراف إلى الضبط القائم على القوانين ، وهذا إلى جانب أن الفرد الحضري يصبح فردا تنظيميا ينتمي في ذات الوقت إلى تنظيمات عديدة حتى تستقيم

حياته في المدينة إلى درجة القول أن المدينة تتميز بتنظيماتها التي تنتظم في إطارها العلاقات والجهود والأعمال الفردية والجماعية لتلك الجموع البشرية التي تجوب أرجاءها ، وهكذا فالتحضر تنظيم.

4-5- المعنى السوسيولوجي:يشير إلى تلك العمليات الاجتماعية التي تصاحب التحولات المجالية والديموغرافية والبيئية والتنظيمية التي تصيب التجمع السكاني الحضري ، فالمسافات المكانية السائدة بين السكان في التجمع الحضري قربت أو بعدت، تترك آثارها واضحة على علاقات الأفراد والجماعات بعضهم ببعض ، كما هو الشأن بالنسبة لكثافة الاتصال ودرجة التفاعل وحجم التجمع السكاني والانتماء التنظيمي القسري والطوعي ، كل ذلك يحدث نمطا جديدا تماما من العلاقات والسلوكيات والتصورات والذهنيات ينتج عنه ما يسمى بثقافة المدينة أو الثقافة الحضرية التي لها قيمها ومعاييرها ، يكتسبها –الفرد –المنتقل إلى المدينة أو ينشأ عليها المولود فيها ،وهكذا فالتحضر يؤدي إلى حالة من الوجود الاجتماعي بشقيه المادي واللامادي ، يتسم بالتعقيد يفرض نفسه على الأفراد والجماعات معه ، وهو معنى الحضرية عند **لويس ويرث** [1].

5- الحضريــة

يشير مصطلح الحضرية للطابع المميز للمجتمع المحلي الحضري والأسلوب الخاص الذي تتسم به طريقة الحياة في المجتمع الحضري ، والذي ينتج عن الطبيعة الايكولوجية والاجتماعية والثقافية للمدينة ،و لذلك يمكن أن ننظر إلى الحضرية باعتبارها صفة تجريدية للخصائص المميزة للمدينة ، التي يكتسبها ساكني الحضر سواء بالميلاد أو عن طريق الهجرة ، حسب ما تبين لنا في المعاني السابقة للتحضر.

[1] – محمد بومخلوف : المرجع نفسه ، ص 27 .

فيشير مفهوم الحضرية إلى " أنماط الحياة الاجتماعية التي يعتقد أنها مميزة لسكان المناطق الحضرية ،و هي تتضمن مستوى عال من تقسيم العمل ونمو الذرائعية في العلاقات الاجتماعية وضعف العلاقات القرابية ،و نمو المنظمات الطوعية والتعددية في المعايير ، والتحول العلماني وزيادة الصراع الاجتماعي ،و تعاظم أهمية وسائل الاتصال الجماهيري "[1].

وهناك من ينظر إلى الحضرية أنها نموذج معين من الثقافة تنشأ عن تركز عدد كبير من السكان ، فهي تشير إلى " نماذج الثقافة والتفاعل الاجتماعي " الناتج عن تركز عدد كبير من السكان في مناطق محدودة نسبيا ،و تعكس الحضرية تنظيم المجتمع في حدود تقسيم العمل المعقد ،و مستويات التكنولوجية المتفوقة والتنقل الاجتماعي السريع ،و الاعتماد المتبادل بين أعضائه في أداء الوظائف الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية غير الشخصية [2] .

قدم صاحبي التعريفين السابقين الحضرية وخصائصها على أنها الحصيلة النهائية لعملية التحضر ،و بالتأكيد هذا ينتج عنه ثقافة فريدة للمدينة ، ودائما في إطار حديثنا عن الحضرية وإبراز التغيرات المصاحبة للتحضر ، قدم " **رادفيلد**" في دراسته لمجتمعات الفولك الحضرية ملخصة في الشكل الآتي [3]:

---

[1] – جوردن مارشال : موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة : أحمد زايد وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، 2000 ، مجلد 2 ، ص 653 .

[2] – تأليف نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع: المرجع السابق ، ص 498 .

[3] – حميد خروف وآخرون : الإشكاليات النظرية والواقع – مجتمع المدينة نموذجا– سلسلة علم الاجتماع ، قسنطينة ، منشورات جامعة منتوري ، 1999 ، ص 65– 66 .

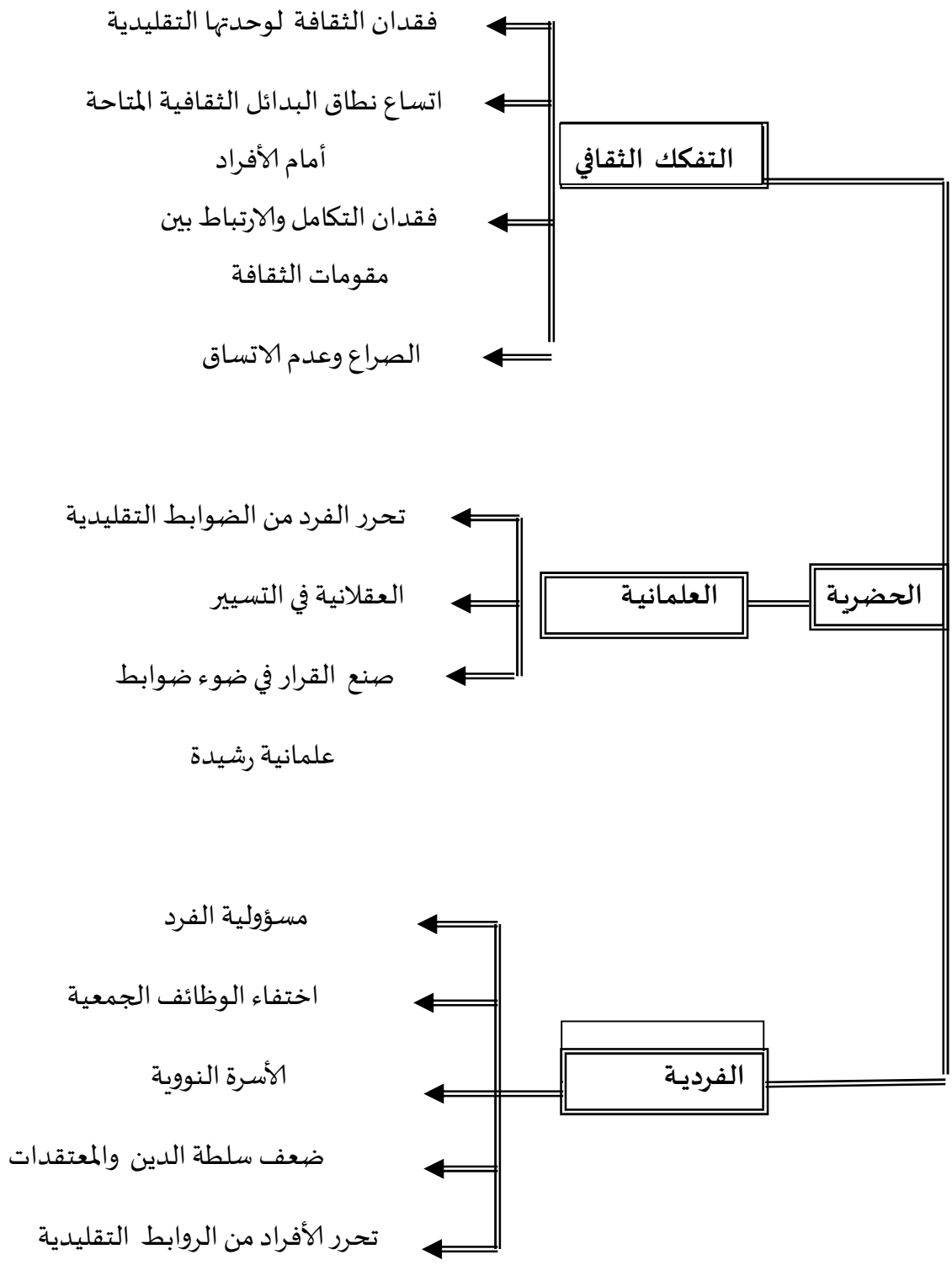

شكل رقم (01) يمثل خصائص الحضرية

6- عوامل التحضر

6-1-العوامل الجغرافية " الايكولوجية": تعتبر العلاقات المكانية المتغيرة للكائنات والأنشطة الإنسانية نتيجة تفاعل العديد من القرى والعوامل، سواء في تحديد هذه العوامل أو تغييرها، فقد يكون لبعضها أهمية عامة في المنطقة كل، وقد يكون للبعض الآخر دور محدد بحيث يؤثر فقط في منطقة دون أخرى، لقد لعب اكتشاف الصلب وتطور وسائل النقل دورا كبيرا في التأثير على درجة ومدى التركيز السكاني والنظامي للمجتمع الجديد بوجه عام في الوقت الذي كانت فيه العوامل الجغرافية كالبحار، السهول والجبال .. على درجات متفاوتة من الأهمية فيما يتعلق بتحديد الأنماط الايكولوجية للمجتمعات المحلية بوجه عام.

ويمكن تحديد الأنماط الايكولوجية للمجتمعات المحلية بوجه عام في العوامل الجغرافية التي تشتمل على ظروف المناخ والطبوغرافية والموارد البيئية والطبيعية، غير أنه مع التطور الهائل الذي أحرزه الإنسـان بفضل تراكم المعرفة العلمية والاختراعات التكنولوجية في مجال التوافق والسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمة الإنسـان [1].

وفي هذا الصدد استخدم "**محمود الكردي**" في دراسته عن "النمو الحضري ومصطلح الاستقطاب الحضري" ويعني به مجموع الظواهر التي تنشأ في منطقة معينة، تتمتع بمميزات جغرافية، اقتصادية، اجتماعية وإدارية بشكل يكسبها خاصيتي الجذب والتأثير في المناطق المحيطة بها، حيث تجعلها تتجه إليها دائما وتعاني مثل هذه المنطقة من تركز في السكان وتكدس في الأنشطة الإنتاجية والخدمية، وينجم

[1] – مريم أحمد مصطفى وآخرون، التغير ودراسة المستقبل،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،2002، ص ص236،233.

عن ذلك تأثيرات اجتماعية واقتصادية وجغرافية إدارية في كل من مركز الاستقطاب والمناطق المستقطبة.[1]

6-2-العامل الاقتصادي: تشير كلمة العوامل الاقتصادية إلـى مجموعة من الظواهر التي تتعلق بالحياة المادية للمجتمع، ووسائل تنمية موارد ثروته وإنتاج هذه الثروات وتداولها وتوزيعها واستهلاكها، وهي تضم العناصر التي تنتج السلع والخدمات مثل الأرض، الموارد الطبيعية، القيم الثقافية، المعرفة الفنية، رأس المال، الموارد المتاحة وتنظيم العمل الذي يتمثل في مهارات الأفراد[2]"

أ-الثورة الزراعية :يتمثل انتقال الإنسـان في العصر الحجري من كهفه إلـى مخبئه، الذي يشيده من أفرع الأشجار، أول خطوة نحو التحضر، حيث كان الإنسـان يعتمد على مساحة لزرعها معتمدا على الجهد المبذول وكفاءة متوفرة لاستغلالها و هذا ليوفر غذاءه[3]،كذلك مظاهر التحضر في مجال الزراعة، حيث تم استخدام التكنولوجيا في ضبط المياه واستخدام المحراث وري الأراضي وصناعة المعادن أدت إلـى ظهور فائض[4].

ب-الثورة الصناعية:يتميز العصر الحديث بزيادة عدد المدن الصناعية ونموها وهذا نتيجة ارتباط النمو الحضري بحركة التصنيع، وعند ظهور الصناعة اتجه الآلاف من

---

[1] – محمود الكردي،النمو الحضري،ط3، دار المعارف،القاهرة،1980، ص25.

[2] – محمد الجوهري وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري ،ط2، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 1975،ص60.

[3] – عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة- الاجتماع الحضري – سبق ذكره،ص46.

[4] – حسين عبد الحميد أحمد رشوان،المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، مكتبة الجامعي الحديث، الازاريطة، مصر،1998،ص119.

الريفيين إلـى المدن حيث مراكز الصناعة، وكذلك ظهور الصناعة قد شجع أصحاب رؤوس الأموال على استثمار أموالهم في مختلف الصناعات[1].

التصنيع ركيزة أساسية ينبني عليها النشاط الحضري بصفة عامة، وترتيبا على ذلك فإن الظواهر الحضرية تتأثر مباشرة بالتصنيع من حيث نوعيته، درجته ومجاله، والتصنيع أيضا مرتبط بالتحضر كونه سببا أساسيا من أسباب عمران المدينة ونموها،و ينعكس التصنيع أيضا في ارتفاع مستوى معيشة الفرد في المدينة، الأمر الذي يجعلها مركز جذب للمهاجرين، الذين يبغون الحصول على الأعمال المنظمة في مصانعها، وبالتالي تصبح مراكز عامل جذب للعديد من المهاجرين[2]، ويرفع التصنيع الكفاية المالية والإدارية للمناطق الحضرية وبالتالي تغير الحياة الاجتماعية فيها فتصبح مركبة وذات علاقة معقدة ومتشابكة النطاق، فالثورة الصناعية لها إسهام في نشوء الثورة الحضرية التي أصبحت في أحد جوانبها موطنا للتفكك والعزلة[3].

إن الأنماط المكانية للمدينة تعتبر إلـى حد ما من خلق التكنولوجيا، وحيث تحدث التغيرات التكنولوجية فإن ايكولوجية المدينة تمر بتغيرات مصاحبة.

لقد كانت المصانع في الأيام الأولى للنهضة الصناعية تتوطن في المناطق الداخلية للمدينة، بل ربما كانت المدينة تميل إلـى النمو حول هذه المصانع ويميل العمال إلـى الإقامة بالقرب من مناطق عملهم، مما يؤدي إلـى ارتفاع الكثافة السكانية، غير أنه مع تغير التكنولوجيا والنقل والمواصلات ومع تزايد استمرار

---

[1] –عزت عبد الكريم وآخرون، المجتمع العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، ص 139 ،141.

[2] – احمد النكلاوي، دراسة في علم الاجتماع الحضري،دار النهضة العربية، القاهرة ، مصر ،1973،ص76.

[3] – جيرالد بيريز، سبق ذكره، ص13.

التطور التكنولوجي، لنا أن نتوقع حدوث المزيد من التغير في التركيبات الايكولوجية للأفراد والمؤسسات والنظم بل وحتى في العلاقات الإنسانية بوجه عام.

ج-الثورة التجارية:أدت التجارة في العصور القديمة إلـى تحسين فن الكتابة وتقدم علم الفلك والحساب والتنجيم، كما قسمت السنة إلـى شهور وأيام وساعات ودقائق،و اعتمدت المدن في فترة ما قبل الصناعة في نشأتها على التجارة، اعتبر"**بيرين**" انتعاش التجارة هو السبب المباشر لما تم في القرن الحادي عشر من بناء المدن وضروب النشاط التي أدت إلـى انتشار المدينة والتوسع التجاري كان من بين العوامل الهامة في التحول من القرية إلـى المدينة وخاصة في القرن السابع عشر، وبدأ الحافز على التوسع الحضري ينبعث أساسا من التجار أصحاب الأملاك والذين كانوا يهدفون إلـى خدمة مصالحهم الخاصة .

وقد ظهرت مدن ساحلية أساساها حركتا التصدير والاستيراد وتجمعت الثروة في المدن، وانتقل اهتمام أهل المدينة من المحراث واستئناس الحيوان إلـى القصور والمعابد الضخمة والأثاث الفاخر والأسلحة للجيش، وكان السوق هو مركز نشاط المدينة والتجارة هي حياتها ومصدر ثروتها، وبتأثير العامل التجاري زادت قدرة المدينة على الجذب وخاصة جذب العناصر الجدية التي لم تكن مقيمة أصلا فيها، واضمحلت سلطة الواردات من الإقطاعيين، ولحساب التجارة ظهر المحاسبون ولحسم مشكلات التجار ظهر الحكام المركزيين، ولتأمين التجارة ظهرت الجيوش وانبثقت سلطة التجار والأغنياء.

واعتمدت المدن الصغرى في تجارتها على مدن صغرى مشابهة لها أو مثلها، أما الكبرى فكانت تجارتها دولية،و نمت مدن الأسواق العالمية، وطرق التبادل ووسائل النقل، وذلك في ظل ظروف كانت تمنع في الماضي ظهورها أو نموها، فالمدن التي تقع في المناطق تبعد بعدا سحيقا عن مناطق العمران وتتخصص في

نوع دقيق جدا من الصناعة، أصبح من الممكن استمرارها بل ازدادت كثافة السكان فيها عن طريق التجارة ووسائل النقل الحديثة.

والنتيجة التي ترتبت على ذلك أن الفكرة القديمة وهي أن المدينة ولكي تزدهر يجب أن تعتمد على منطقة زراعية حولها، قد أصبحت غير ضرورية إطلاقا، وحيث أخذت المدينة التجارية الأقدم عهدا في التدهور في القرن السادس عشر، كانت الموانئ البحرية والنهرية والواقعة على طريق التجارة الرئيسية تنعم بالازدهار.

وقد انتشر إنشاء القنوات في الأقاليم الواطئة إلـى سائر أرجاء أوروبا، فضلا عن ذلك بأن مهارة الهولنديين في التحكم في الماء في ضخه انتفع به استخدام أقدم المواسير الرئيسية للماء من أجل سد حاجة المدن الآخذة في التوسع، وقد أنشئ في القرن السابع عشر ولأول مرة نظام النقل بالقوارب في القنوات بصفة منتظمة في كل ساعة[1].

وساعد على نمو المدينة ظهور نقابة التجارة وهي عبارة عن هيئة عامة تنظم وتشرف على الحياة الاقتصادية بأجمعها، فقد تنظم قواعد البيع وتحمي المستهلك من الابتزاز و الصانع الأمين من المنافسة غير العادلة، كما تقوم بحماية تجار المدينة من اضطراب أحوال سوقهم بتأثير عوامل خارجية، من الناحية الأخرى فإن نمو الأسواق العلمية وطرق التبادل حسَّن من وسائل النقل وزاد من حجم التبادل، الأمر الذي سمح للمدن بالنمو في ظل ظروف كانت تمنع في الماضي ظهورها أو نموها، فالمدن التي تقع في مناطق بعيدة عن العمران وتتخصص في نوع من الصناعة

[1] – كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر،(د ط ت)، ص 36.

أصبح من الممكن استمرارها، بل وحتى ازدياد الكثافة السكانية فيها عن طريق التجارة، حيث تكسبها خاصيتي الجذب والتأثير في المناطق المحيطة بها.[1]

و لا يعني هذا أن المدن كانت مأوى للتجار فقط، إنما يعني أن أساسها الاقتصادي كان تجاريا و أن أغلب العاملين من كتيبة الموظفين ومديرين ومختصين في الدعاية ومحاسبين، كانوا من ملحقات العمليات التجارية وأن الأطباء والمهندسين والمحامين كانوا في خدمة التجار وملحقاتهم.

6-3- **العامل الاجتماعي والثقافي:** إلى جانب الزيادة الطبيعية للسكان، ساهمت الهجرة في عملية التحضر والنمو الحضري، وقد أدت دورا هاما في عملية التحضر التي تعرضت لها مدن العالم.

والهجرة ظاهرة اجتماعية وجدت وما زالت توجد في كل زمان ومكان، وهي تعني الارتحال من موطن وتركه إلـى غيره مدة قد تقصر أو تطول، وتضم الهجرة مهاجرين قادمين إلـى أنمـاط جديدة من العلاقات ليسو مجرد خدم كما كان الأمر في العصور القديمة، والهجرة نوعين : دائمة ومؤقتة، الهجرة الدائمة تنقسم إلـى هجرة داخلية وأخرى خارجية، ومن الهجرة الداخلية نشأت المدن وهي أيضا أنواع[2].

ومن هنا يجب أن ننظر إلـى الهجرة على أساس كونها ذات دلالة واضحة على التغير الاجتماعي، فطالما كانت عملية التصنيع تخلق حركات سكانية ذاتية من الريف إلـى الحضر، ومن مدينة لأخرى في نفس البلد ومن مجتمع لآخر، وهو الأمر الذي يجعلنا نؤكد على أن المدينة قد أصبحت منطقة لجذب السكان في حين أصبح الريف منطقة لطرد السكان[3]، وغالبا ما تكون الفئة المهاجرين من الريف إلـى

---

[1] – محمود الكردي، النمو الحضري،سبق ذكره، ص25.

[2] – عبد المنعم بدر، دراسات في التنمية الريفية،(د ط) دار المعارف ، مصر ،1979،ص81.

[3] – السيد الحسيني، المدينة–دراسة في علم الاجتماع الحضري– سبق ذكره، ص279.

المدينة هي فئة القوى البشرية العاملة، بحيث تهاجر فئة الشباب المكافح والطموح، مما يؤثر على الخصائص الديموغرافية للريف والحضر وكذلك مدى توازن التوزيع السكاني خاصة درجة التخلخل بين المدن والقرى[1].

والهجرة هي زيادة غير طبيعية "نموا حضاريا" تؤدي إلـى زيادة بشرية إقليمية وايكولوجية مما يضيف للمدينة إضافة مستمرة من المرافق والخدمات.

وعلى الرغم من أهمية الهجرة في نمو المدن بصورة عامة، سواء في الدول الصناعية أو النامية، إلا أن هذا العامل يقوم بدور أساسي في الانفجار الحضري في دول العالم النامي، الناتج عن التغير الجذري الذي لحق بتقسيم العمل في ظل خطط التنمية، التي أخذت بها العديد من الدول والتي كان ولا يزال الصدى لها في النزوح من المناطق الريفية إلـى المناطق الحضرية، ومن المسلَّم به أن نمو المدن السريع في الدول النامية يعكس الهجرات الواسعة لسكان الريف نتيجة التخلف الاقتصادي والبطالة التي يعيشها هؤلاء السكان ويسعون إلـى المدينة بحثا عن فرص العمل[2].

وتميل الدراسات الايكولوجية الحضرية إلـى تأكيد الدور الذي تلعبه الهجرة في وضع اليد على أرض المدينة، وما يترتب عن ذلك من نمو للأحياء المتخلفة في كثير من مدن العالم، خاصة مدن العالم الثالث.

وتتجه الهجرة إلـى هذه الأحياء نتيجة عدد من العوامل الاضطرارية المرتبطة بالصراعات والاضطهاد والحروب وفي نفس الوقت تعد هذه الأحياء بمثابة محطات

---

[1] – صلاح العبد ، التوطين والتنمية والمجتمع بالوطن العربي،معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر،1973،ص381.

[2] – عبد الله خليفة،اثر العوامل الاجتماعية في توزيع السكان على أحياء مدينة الرياض،(د ط) ، الرياض ، السعودية،1980، ص28.

وصول الأقارب والمهاجرين الذين سبق لهم التوافق والتماثل في هذه الأحياء واستطاع البعض منهم تحقيق حراك اجتماعي واقتصادي.

وتبدو في الأحياء المتخلفة نماذج متنوعة من أشكال الهجرات ذات خصائص إقليمية وعرقية ودينية متعددة الثقافات وهي في كل الأحوال أحياء متخلفة تساعد المهاجرين وتهيؤهم لثقافة المجتمع الحضري، وفضلا عن ذلك فإن بعض المهاجرين استطاعوا من خلال جهود نشطة تحقيق مكانة وحراك اجتماعي صاعد دفع البعض الآخر من أقاربهم وسكان بلدياتهم إلـى محاولة تقليدهم والانتقال إلـى المدينة واتخذوا من الأحياء المتخلفة أماكن سكنية ومجالا لأنشطتهم الاقتصادية[1].

وتؤدي الهجرات إلـى إحداث اختلالات شديدة في توازن توزيع السكان الحضر أو الريف وحدوث تضخم حضري في المدن[2].

6-4- العامل العمراني التخطيطي: يعتبر التخطيط من العوامل المؤثرة في النمو الحضري حيث أنه وسيلة للضبط الاجتماعي والنسق الحضري، وهو علم مهم لتلك العمليات التي تعمل على تغيير المدينة والتحكم في نموها[3].

وهو وسيلة للتغلب على التناقضات التي تظهر في داخل النسق الحضري، حيث يرى "**وحيد حلمي حبيب**": "أن التخطيط الحضري يهتم أساسا بالموضوعات التي تشمل مجموعة محددة من الأنشطة الحضرية"[4]

---

[1] – عبد المجيد عبد الرحيم ، علم الاجتماع الحضري ، المكتبة الأنجلو–مصرية، القاهرة مصر ، 1986، ص184.

[2] – فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في علم السكان ،ط2، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر،2000، ص197.

[3] – متعب مناف جاسم، التخطيط والمجتمع ، جامعة بغداد ، العراق ، 1976، ص 215.

[4] – وحيد حلمي حبيب، تخطيط المدن الجديدة ، دار ومكتبة المهندسين ، القاهرة ، مصر ،1991، ص7.

وقد ساهم هذا العلم في العصر الحديث في تحقيق جوانب جغرافية، جيولوجية، فيزيقية، سياسية، اقتصادية، مهنية، اجتماعية، ثقافية، سلوكية وتكنولوجية حيث تؤخذ جميع الجوانب بعين الاعتبار عند تخطيط المدن وإقامة المباني[1].

ومن هنا نرى أن تخطيط المدن هو توجيه لنمو المناطق كالعواصم والتجمعات الحضرية والأقاليم بواسطة دراسة تنسيقية تقوم بها المدن، فالخطوط الكبرى للعالم المعاصر هي التطور المستمر والتغير الدائم وعدم الاستقرار[2]، هو ما يوضح لنا أهمية التخطيط .

إن تخطيط المدينة الحديثة محاولة لتنمية الشخصية المتوازنة في مجتمع متكامل و كامل على تلبية رغبات الجميع، فساكن المدينة لابد له من أن يتخلص من الهواء الملوث والضوضاء والقذارة والنقص الواضح في أشعة الشمس،كما أن وقت الفراغ المترتب على التخصص المهني في المدينة لا بد أن يستغل استغلالا لصالح الفرد، لهذا فإن مخططي المدن الحديثة يحاولون أن يجعلوا من المدينة مكانا ملائما لحياة الإنسـان، على الرغم من أنهم يعتقدون أن الحلول باهضة الثمن وفوق طاقة أي دولة من الدول، ذلك أن إعادة تخطيط المدينة وهدمها وإعادة بنائها من جديد لا يمكن تنفيذه بالصورة التي يتخيلها المتحمسون .

والتخطيط العمراني يهدف إلـى الاهتمام بالتنظيم الشامل للمدن بغية توفير ظروف جيدة للإنسان والتنظيم العمراني، عن طريق هيئات وأدوات تتمثل في التهيئة

---

[1] – لويس ممفورد، المدينة على مر العصور أصلها،تطورها مستقبلها، إشراف ومراجعة إبراهيم نصحي،ج1،المكتبة الانجلو–مصرية، 1964،ص643.

[2] – روبير أوزيل، فن تخطيط المدن ،ت بهيج شعبان،ط2،دار منشورات عويدات ،بيروت ، لبنان، 1982،ص05.

والتعمير، وكذلك يهدف هذا التخطيط إلـى وضع إستراتيجية عامة، تتمثل في المرافق الاقتصادية الكبرى للدولة وتراعي خصائص التراب[1].

وكذلك ما يدخل في عملية التخطيط، استخدامات الأرض ويقصد بها كمية الأرض التي يمكن الإفادة منها قبل أن نمزج إحدى الحواضر بحاضرة مجاورة، ويمكن أن نقسم تلك الاستخدامات إلـى ثلاث فئات:

استخدام الأرض للمحلات التجارية التجارية، والمصانع والمساكن، كما أن التغيرات في العادات والتقاليد المحلية يؤدي إلـى تغير في النسبة المئوية لمساحات السكنية لاستخدامها في مساكن منفصلة كل منها لعائلة واحدة أو منشآت تسكنها العديد من العائلات[2].

إلى جانب استخدام الأرض هناك اعتبارات أخرى تدخل في تخطيط المدينة، وهي اعتبارات ايكولوجية (درجة انحدار المجاري والمصارف المائية، طبيعة التربة، أساسات الأرض ومدة قوتها).

أما الاعتبار الثالث هو اتجاه الرياح، حيث أن لهذه الأخيرة تأثير في تخطيط المدن من خلال تحكمها كلية لتحديد مواقع استعمالات المناطق وعلاقة كل منطقة بأخرى، وكذلك من أجل المواقع السكنية وغيرها.

---

[1] – حواس سلمان محمود ، أزمة التخطيط العمراني في المدن العربية، مجلة القافلة،ع2،مج44،السعودية ،1996،ص37.

[2] – زيدان عبد الباقي، علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية، المكتبة الانجلو–مصرية،مصر ،1974،ص 183.

7- التحضر ومؤشراته

7-1- نمو التوجه التجاري والنفعي: ارتبطت عملية التحضر بالمدينة ارتباطا وثيقا، فهي عملية مستمرة لا تتوقف على تغير عدد السكان أو على استعمالات الأرض، إنما ترتبط أيضا بعملية التفاعل الاجتماعي المستمرة في حياة الأفـراد ونشاطاتهم المختلفة، وما يرافق ذلك من تغير سلوكهم الاجتماعي ومدى ملائمته مع ما يجري من تغيرات اقتصادية وثقافية وفكرية مستمرة في الحياة الحضرية الجديدة، فالتحضر يرتبط ارتباطا وثيقا بالسلوك الاجتماعي، ويشير**"لمبارد"** إلـى المفهوم السلوكي للتحضر على أنه يعني الاستخدام الاجتماعي لمفهوم التحضر الذي يمثل فكرة العملية الاجتماعية التي تكون سببا ونتيجة في الوقت نفسه لتغير طريقة حياة الناس[1]، ففي مجتمع المدينة يزداد الاتجاه نحو العمل التجاري النفعي، الذي يقصد به ازدياد رغبات الناس في جمع الثروة وانهيار فرص الحصول على الربح في المعاملات والصفات المهنية والتجارية المختلفة، التي تزدهر في ظل الحياة الحضرية، فبعدما كان المجتمع في مرحلة الرعي والزراعة استهلاكيا بالدرجة الأولى بحكم محدودية الإمكانية التكنولوجية والاقتصادية أصبح في تطوره الحضري أكثر إنتاجية، وهذا يؤدي إلـى زيادة الفائض الاقتصادي التي تتيح لعدد كبير من سكانه التوفير وتكوين الثروة[2]، وقد كان للتصنيع دوره الكبير في عملية التغير الثقافي الذي شهدته كثير من المجتمعات النامية ومنها مجتمعنا، فهو أدى إلـى التغير من الصناعة اليدوية إلـى الصناعة الآلية، تلك الظاهرة التي اقتصرت واختزلت بصورة مدهشة الانتقال من القرى إلـى الحياة الحضرية، وعندما كان كل شيء يصنع باليد،

---

[1] – ماهر عبد الواحد عزيز، التطور الحضري في مدينة أربيل،رسالة ماجستير في علم الاجتماع مقدمة إلـى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990 ص28،(رسالة غير منشورة).

[2] – النوري قيس، الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2001، ص141.

كان النظام الاقتصادي يقوم على أساس العلاقات الشخصية الوثيقة، وتبعا لذلك كان الأجير صديقا لمؤجره، وكان التعاون يسود العمل والمشاركات الوجدانية تدخل في العلاقات المتبادلة[1].

وفي حياة المدينة الحديثة ازداد نمو التوجه نحو العمل التجاري والنفعي، الأمر الذي أدى إلـى تفكك تلك العلاقات نسبيا، وانتقل الإنسـان إلـى صيغ جديدة من التعامل القائم على نطاق واسع أو بعيد المدى، والذي يأخذ في الاعتبار منافع أبناء المجتمع، ذلك المجتمع الذي أصبح مترابطاً عضويا، وقد حصل ذلك بشكل مميز في ظل تطور المدن وظهور المؤسسات المالية والمصرفية والتجارية والصناعية والخدمية، وأصبحت المدن مسرحا طبيعيا لتنفيذ أعلى مستويات الطموح المالي، وتكيف المؤسسات والتنظيمات من أنماطها القرابية والدينية، التي ركزت على خدمة الجماعة وتحقيق تضامنها وحماية مصالحها الاقتصادية المشتركة، إلـى نماذج حضرية موجهة لتحفيز الأفـراد في منطقة المنافسة التجارية، وهكذا حلت العقلانية التجارية القائمة على تحقيق المنافع الفردية المادية والعملية محل الذهنية الريفية التي تبلورت في إطار البناء الاجتماعي، الهادف إلـى تعزيز روابط القربى والجوار، وتغلبت مصالح الجماعة القرابية أو العشائرية على مصالح الأفراد[2].

ومع ازدياد تبلور النظرة النفعية والتجارية تصاعد تأثيرها بشكل أو بآخر في كثير من الأنساق الاجتماعية والثقافية، ومنها نسق التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية، وبهذا أخذت الأسـرة الحضرية تمارس وظيفتها التربوية في إعداد الأطفال بما يتلائم ومتطلبات وسياقات الحياة الحضرية بكل ما فيها من توجه إلـى ما هو مادي وعقلاني، ويظهر ذلك من خلال توجه الأسـرة نحو توجيه النشء الجديد إلـى سياقات الحياة العملية التي تخرج عادة عن دائرة اهتمامات القرابة

[1] – حجازي محمد فؤاد، الأسـرة والتصنيع، مكتبة وهبه،مصر،1975 ،ص74.

[2] – النوري قيس، الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، سبق ذكره،ص141.

وعلاقاتها، أو عن تمجيد تأريخ القبيلة أو العشيرة إلـى آفاق المسؤوليات التي يعول عليها دائما في أداء الأدوار المهنية[1] المنسجمة مع الحياة الحضرية الجديدة، التي بصيرورتها تنكمش القرابة والولاءات العشائرية، وفي هذا المجال رأى "**حسن الساعاتي**" عن العمران والتصنيع فيما يخص التغيرات الأسرية، أنه كلما زاد الدخل قل الإقبال على الإنجاب، وتوصل إلـى أن هناك ميلا أشد بين المهاجرين المستقرين في المدينة إلـى تأخر سن الزواج والإقامة في مسكن مستقل، وفي ذلك إشارة واضحة إلـى الرغبة في تكوين أسرة نووية[2].

إن نمو العمل التجاري النفعي في المجتمع كفيل بنقل هذا المجتمع إلـى تبني صيغ جديدة في التعاملات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة وكذلك في مجال التبادل الاجتماعي الأوسع، فهذا النمو سوف ينقل الأفـراد من دائرتهم الضيقة والمنعزلة والتي يظهر في ثناياها التبادل الاجتماعي قصير المدى إلـى آفاق أوسع يكون التبادل الاجتماعي أوسع نطاقا وأكثر عقلانية ونفعا، إن اتجاه المجتمع الحضري الجديد نحو العمل التجاري أو النفعي إنما هو بحد ذاته يعني تفكك أو انحلال العلاقات القرابية على نطاق العشيرة أو الأسـرة الممتدة بعد تحول الاقتصاد من صيغته المحلية إلـى صيغته الأوسع تفاعلا.

7-2-التحلل القرابي والعشائري: يعني التحلل القرابي تضاءل سيطرة القيم والمعايير الاجتماعية على العلاقات والسلوكات والمتأثرة بمعايير وثقافة المدينة، واستنادا إلـى ذلك يمكن القول أن التفكك أو التحلل القرابي هو نتيجة متوقعة لعملية التحضر، تلك العملية التي بدأت تتصاعد منذ بداية القرن العشرين مترافقة مع وجود الاستعمار ودخول التصنيع وانتشار التعليم المدرسي ونشوء الحضرية بنظمها المهنية

[1] – النوري قيس، الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، المرجع نفسه ،ص 143.

[2] – محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996، ص268.

والطبقية والثقافية، ومع تعقيد الواقع الانتقالي للمجتمعات النامية لكثرة الظواهر المتغيرة وتعدد عملية التغير التي تواجهها، إلا أنها تشترك في حقيقة واحدة وهي انتقال أنساقها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية من أشكالها العشائرية إلـى نماذج حضرية[1]، تلك النماذج التي أخذت قوالب جديدة رسمت ملامح السلوك الاجتماعي وفق معطياتها الجديدة المتغيرة، ومرتبطة أيضا بالأنشطة الاقتصادية وتنامي الفردية والاستقرار في القرارات الأسرية، وظهور التنظيمات الاجتماعية والسياسية التي بدأت تغذي المجتمع بثقافة جديدة فضلا عن تأثر أفراد المجتمع بالنماذج السلوكية المنقولة من خلال الإعلام أو من خلال الاطلاع عليها عن طريق السفر أو من خلال وجود التنظيمات الاقتصادية التي أوجدها الاستعمار خلال فترة وجوده في البلاد.

وفي هذا الصدد يشير " **ويليام أوجبرن وتيمكوف** " إلـى التغيرات في الأسرة هي بداية تدهورها، مشيرا في سياق ذلك إلـى أنواع مختلفة من المشكلات بدأت تظهر نتيجة ذلك، مثل زيادة جنوح الأحداث وارتفاع معدل الطلاق وتفكك المنظومة القرابية.

فالتغير الذي حصل في المجتمع نتيجة دخول التكنولوجيا الحديثة وأساليب الإنتاج الجديدة سواء في القطاع الزراعي أو الصناعي أدت إلـى تغير طبيعة المهن، وتغير علاقات الإنتاج وإيجاد مفاهيم جديدة ومقاييس في تقيم الأشياء، ومن الأشياء التي ظهرت كنتيجة حتمية لهذه التغيرات نشوء الصراع بين القيم التقليدية والقيم الحديثة، إذ أدت تلك المؤشرات إلـى تشكيك الناس في القيم السائدة حتى بدا أن تلك القيم ثقيلة وبعضها الآخر غير مقبول وفق مقاييس المرحلة الراهنة[2].

[1] – النوري قيس، الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، سبق ذكره، ص 149،148.

[2] – سلمان عبد علي، المجتمع الريفي في العراق،دار الرشيد للنشر، بغداد،1980 ص182.

وقد أدى ذلك أيضا إلـى تفكك وتحلل التنظيم القرابي التقليدي(القبيلة أو العشيرة) فلم يعد له صوت مسموع لدى أفراده، وباتت علاقاتهم بذلك التنظيم لا تعدو علاقات شكلية أكثر منها علاقات صميمية كما كانت قبل التحضر، ولعل أبرز الاتجاهات هو التغير السكاني، فلم تعد العشائر تسكن مناطق محددة لأنها لم تقاوم أمام حركة التحضر، حيث تبعثرت وحدات العشيرة نتيجة لهجرة كثير من أفرادها وأسرها إلـى المدن طلبا للعمل والرزق بسبب ظنك العيش في الريف، مع وجود عناصر جذب مغرية بدأت تظهر في المدينة، وهكذا انفرطت وحدة التجمع السكاني والبيئي للعشيرة إلـى صورة بعيدة من التشتت، ومن الطبيعي أن هذا التباعد الجغرافي أو المكاني يخلق تباعدا اجتماعيا ونفسيا بين أفراد وأسر العشيرة، الأمر الذي يعطي لهؤلاء الأفـراد العذر لعدم مراعاة الالتزامات القرابية المتبادلة بين الأقرباء كحضور مناسبات الأعراس ومناسبات العزاء.

كما أن هذا التغير يحسب أيضا حتى بين أولئك الذين يسكنون المدينة ذاتها وخصوصا أولئك الذين يقطنون مناطق سكنية راقية من المدينة، ولاسيما من ناحية اختلاف مستويات الأحياء التي يقطنها أبناء العشيرة أو المجموعة القرابية وما يثيره ذلك من إشكالية التباين الاجتماعي بينهم، إذ من الطبيعي أنّ الذين يسكنون أحياء سكنية راقية من المدينة يثيرون حسد وغيرة أقربائهم الذين يسكنون في أحياء فقيرة أو شعبية من المدينة ذاتها، وهذا من شأنه أن يضعف أواصر العلاقات بين الأقرباء وبدل أن يكون التقارب المكاني مصدر قوة لتلك العلاقات، يصبح مصدر ضعف وانحلال لتلك العلاقات نتيجة ما يثيره التباين الاقتصادي الذي يجسده اختلاف مستوى السكن أو المهن والوظائف وغيرها[1].

[1] – النوري قيس،الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، سبق ذكره، ص149–150.

ومن الاتجاهات الأخرى لهذا التحلل القرابي هو ضمور الانتماء والولاء الجمعي، فمن المعروف أن الولاء للعشيرة كان في الماضي يتم عن طريق تلاقي أفرادها دون ضغط من أحد وعندما ننتقل إلـى الواقع الحضري الجديد يضعف أو يتلاشى ذلك التلاحم بين أفراد العشيرة أمام المشهد الحضري الجديد لأفراد العشيرة، ولعل من أسباب هذا التحول أن الدعم الاقتصادي والاجتماعي والنفسي الذي يتلقاه الفرد من عشيرته أو مجموعته القرابية دفعه للتمسك بمعاييرها وقيمها، وأن هذا الأمر لم يعد ممكنا أو ضروريا في الواقع الحضري الجديد، فضلا عن التعارض القائم بين مفاهيم العشيرة التي تدعو إلـى القيم الجمعية والولاء المطلق للعشيرة، وبين مفاهيم التقدم والتحديث الذي يتظاهر به الحضريين لتعزيز مركزهم الاجتماعي والثقافي والسياسي في المدينة، وهكذا تعكس الصيرورة الحضرية على إحلال النماذج في المؤسسة الاقتصادية والسياسية والقانونية والاجتماعية في المجتمع للانتماء الحضري بدلا من الانتماء للنموذج العشائري أو القبلي[1]،كما أن التفكك الاجتماعي ومنه التفكك العشائري يعود في أحد أسبابه الرئيسية إلـى عدم كفاءة النسق الاجتماعي أو فشله في تحديد مراكز الأفـراد وأدوارهم المترابطة بشكل يؤدي إلـى بلوغ أهدافهم بصورة مرضية[2]، وهو الذي بدأ يدركه كثير من المهاجرين الريفيين من أن النسق الثقافي الريفي بشكله التقليدي لم يعد صالحا لطبيعة الحياة الجديدة في المدينة، كذلك مؤشرات التحلل القبلي نحو التوجه المدني، فالنقلة المهنية في عملية التحضر من أهـم العوامل والمؤشرات للتحلل العشائري، فبعد أن كان هناك نظام اقتصادي معيشي واحد تعتمد عليه القبيلة أو جماعة الصيادين أو الرعاة أو الفلاحين، أصبحوا بعد انتقالهم إلـى المدن مهنيين أو حرفيين صناعيين أو خدميين أو موظفين حكوميين،

[1] – النوري قيس،الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، المرجع نفسه، ص149–150

[2] – محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1989 ص88.

وهذا الأمر أدى إلـى تخلي أبناء العشيرة المتحضرين تدريجيا عن الميول الجمعية والفكرية والعملية التي رافقت أسلوب حياتهم السابق ليتكيفوا مع طراز الأعمال التي يمتهنونها في المدينة، فالمهنة ليست وسيلة لكسب المعيشة فحسب بل عملا معقدا في إعادة تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية للريفيين الحديثي التحضر، كذلك فإن الحضريين أكثر وعيا من القرويين باستثمار أموالهم وحرصهم في زيادة دخولهم لتحقيق رغباتهم المختلفة، كما أن الحضريون أكثر مرونة من القرويين في حل مشكلاتهم وأكثر قدرة على الحراك البيئي والسفر للعمل والاطلاع من القرويين الذين هم أكثر التصاقا بالأرض، كما أن أهـم ما يميز الحضريين أنهم أقل ميلا للزواج قبل بلوغ الإدراك والمسؤولية الأسرية، كما أن الحضريين أقل ميلا للإنجاب من القرويين لشعورهم بضرورة تنظيم الأسـرة فضـلا عن إيمانهم بعمل المرأة أكثر من القرويين[1].

إن نمو التوجه المهني لم يعد وسيلة لكسب المعيشة فحسب، وإنما أصبح النظام المميز المؤثر ثقافيا في شخصية الأفـراد واتجاهاتهم، فقد بلور اتجاها اجتماعيا وثقافيا جديدا، بحيث أن النظام المهني قد ساعد كثيرا في ترسيخ ارتباط المهاجرين لقيم المدينة وأدى إلـى ضعف ارتباطهم بعشائرهم وأقربائهم، ولعل أبرز العوامل المؤدية إلـى الحضرية والنزعة الفردية هو انتشار التعليم الذي بلور الوعي الاجتماعي للانتماء إلـى المجتمع العريض من جهة، وساعد على النهوض الاقتصادي من خلال رؤية المؤسسات الاقتصادية والتنظيمية في المجتمع واعتمادها على العناصر المدربة والمتعلمة التي تتطلبها حياة المدينة الحديثة من جهة أخرى، ومع ازدياد نسبة الدارسين في المدارس تغيرت كثير من مواقف الناس إزاء أمور

[1] – مدبولي جلال، القيم الاجتماعية والتنمية بين الريف والحضر، بحث ميداني عن الخرطوم العاصمة، السودان، المجلة الاجتماعية القومية،ع23، يصدرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر 1986، ص47-49.

متعددة منها القيم .. التي أصبحت موضع تساؤل وشك بعد ما كانت تحظى بالتسليم والقبول غير المجزأ، ولاشك أن التعليم كوَّن فروق فكرية ومعرفية بين أبناء الريف، فالمثقفون منهم يشعرون بالاغتراب مع أبناء عشيرتهم غير المثقفين، ووفقا لهذا الواقع فإن التعليم ساهم بدرجة كبيرة في إضعاف التواصل بين أبناء العشيرة الواحدة بحكم نمو اختلاف رؤى المتعلمين وغير المتعلمين منهم، وأن التحلل القرابي بدأنا نلمسه حتى على مستوى الأسرة المتحدة خصوصا من زاوية الروابط النفسية والفكرية بين المسنين غير المثقفين والشباب ذوي الثقافة العالية نسبيا، حيث يرى "**دور كايم**" بأن الخلاف الأساسي بين المجتمعات البسيطة أو البدائية والمتحضرة إنما يكمن في اختلافهما في تمسكهما الأخلاقي والاجتماعي الذي لابد أن ينعكس في المجتمع و أنماطه الشرعية[1] فحينما ينشئ الناس الروابط بينهم عليهم أن يضعوا القواعد وأساليب العمل اللازمة لانجاز الأعمال الخاصة بالمجموعة وتنظيم علاقة الأعضاء ببعضهم البعض، وتعد أساليب العمل هذه أنمـاط سائدة ولكل رابطة نظمها السائدة الخاصة بها والتي تتلاءم مع مصالحها الذاتية[2]، كذلك فإن التعليم قد كوَّن أجيالاً جديدة تختلف في تطلعاتها وانتماءاتها عن تلك التي كانت سائدة في ثقافة الريف، وهذا ما يمكن ملاحظته على سلوك الجيل الجديد، ولاسيما من حيث تغير الأزياء وأسلوب التفكير ونمط الحياة متأثرا بما يطرحه الإعلام خلال قنواته الفضائية وغيرها على مدار الساعة.

7-3- ازدياد العولمة والعلمانية: يمر العالم المتقدم منذ منتصف القرن العشرين بانتقال تدرجي إلـى ما أصبح يعرف بـ(مجتمع المعلوماتية) أو عصر المعلوماتية أو ما بعد العصر الصناعي، وقد أطلق الباحث" **الفن توفلر**" المعني بالدراسات

[1] – متعب مناف جاسم ، تاريخ الفكر الاجتماعي، محاضرات في قسم الاجتماع (كتاب غير منشور)، ص3.

[2] – بيتر ماكيفر شارلز، هـ– بيدج ، المجتمع، ج1، ت علي أحمد عيسى، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، نيويورك ، الولايات المتحدة الأمريكية ، 1957، ص36.

المستقبلية اسم (الموجة الثالثة) على هذا التحول، مؤكدا أن هذه الموجة ستكون بالأهمية نفسها للتحوليين السابقين في تأريخ البشرية من مجتمع جمع الطرائد إلـى مجتمع الزراعة، ثم من مجتمع الزراعة إلـى مجتمع الصناعة[1]حتى بلغ عالمنا اليوم نقطة افتراق تقع بين خيارين رئيسين:خيار التفكير المحلي كما تمليه الاعتبارات المحلية والوطنية، وخيار التفكير العالمي الذي يدعو إلـى رؤية المصالح والمشكلات المحلية في إطار ارتباطها بمشكلات العالم، فهناك الفجوة الاقتصادية والتكنولوجية بين دول الجنوب حيث الفقر والتخلف، ودول الشمال الصناعية حيث الغنى والتقدم وهي بمجملها تشغل عالمنا كله وليس أجزاء منه، ومن ثم لا يمكن عزلها عن العولمة و لا عن دائرة اهتمامات الانثروبولوجيا، والذي يقع على علمائها وباحثيها تشخيص أهم التحولات القرن العشرين وما توصي به من اتجاهات ومؤشرات مستقبلية[2]، والذي يهمنا في هذا المجال هو ازدياد العولمة في عالمنا اليوم لتشمل مجتمعاتنا التقليدية بالتدريج، ويمكن أن نلمس العولمة من خلال أهم التغيرات التي تحدثها في هذه المجتمعات، وهي التغيرات في البعد الاقتصادي ليشمل التوجه نحو العمل التجاري والانتقال من النمط المحلي القرابي الإنتاجي إلـى النمط العالمي القائم على تعدد الأنشطة الإنتاجية المهنية والصناعية، وتغير النظرة إلـى العمل والمكانة المهنية التي تسهم في توليد البطالة والوظائف الجزئية وتبدّل أسس تقسيم العمل، فضلا عن التوجه نحو تجزؤ الحياة الاقتصادية للأسرة، مما يؤدي إلـى انتهاء أو تحلل الأنساق القروية المرتبطة بإعالة ومساعدة الأقارب، كما نلمس هذه العولمة من خلال تبدل طبيعة الدولة وتحول مجالات القوة وظهور حركات اجتماعية وهويات جديدة، ويتبع ذلك تضاؤل وضعف التضامن الاجتماعي القرابي وظهور أشكال جديدة للتحالف والائتلاف بين الجماعات المحلية، فضلا عن تحول الحكومات

[1] – فرانسيس فوكاياما،التصدع العظيم، ترجمة عزه حسين كبة، ط1، بيت الحكمة، بغداد، 2004، ص7.

[2] – النوري قيس،الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، سبق ذكره،ص385 .

المحلية تحت تأثير ضغوط العولمة إلـى حكومات لا مركزية وبروز المشاريع وظهور ما يعرف بالخصخصة وظهور التعددية وما رافقها من حرية التعبير عن مستويات الطبقية والفكرية والمهنية والسياسية والعرقية و الإثنيـة وغيرها، وكذلك نلمسها من خلال بعد ثالث للتغير وهو يضم أمور تتعلق بالمعرفة والتكنولوجيا والمعلوماتية والتي يدخل فيها دور وسائل الإعلام المختلفة بشكل فعال ومؤثر، إذ انتشرت الصحون الفضائية في السنوات الأخيرة وتحولت إلـى ظاهرة اجتماعية عامة، وتوسع حجم الجمهور لمشاهدة الفضائيات وخاصة الشباب وما تتركه من آثار اجتماعية على سلوك الأفـراد، ولاسيما ما يتصل منها بانتشار ثقافة العولمة[1]، وفي الوقت الذي يكون التجانس والتماثل أحد السمات الأساسية في المجتمعات التقليدية نجد أن ازدياد العولمة يهدد هذا التماسك والتماثل، نظرا لتعاظم الأفكار الجديدة أو المعاصرة والتي تعمل على تشجيع التعددية والإثنية، فنجد في الوقت الذي ساعدت العولمة فيه على تقصير المسافات بين المجتمعات البشرية وتماثل المعلوماتية والتكنولوجية على مستوى العالم، نجدها تشجع الإثنيـة والعرقية والتعدد أو التنوع وغيرها، كذلك أنها خلقت اتجاها عالميا نلمسه في ازدياد تبني دول العالم السوق الحر والخصخصة مع تراجع تدخل الدولة القومية في النشاطات الاقتصادية، وعندما ننظر إلـى تأثيراتها الثقافية الأخرى في العالم الثالث، نجدها في الوقت الذي يكون التراث الثقافي والقيم الاجتماعية قوية ومتماسكة، نلاحظ تصاعد الدعوات إلـى تحرر المرأة من خلال دور المنظمات والمؤسسات في هذا المجال، فضلا عن الدعوات التي تظهر من خلال ازدياد العولمة إلـى حماية البيئة في العالم إلـى غيرها من الدعوات[2].

[1] – ياس اخضير البياتي ، الفضائيات، الثقافة الوافدة وسلطة الصورة، مجلة المستقبل العربي، العدد 267، 2001، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص118.

[2] – النوري قيس ، الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، سبق ذكره ص386.

من جهة أخرى مالت حياة المدينة بالاتجاه نحو تبني سياقات عقلانية وعملية نتيجة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها المدينة الحديثة ولاسيما بعد الثورة الصناعية، وإذا كان المجتمع الريفي يتميز بطابع الحياة الجمعية التي تقودها القيم المحلية والدينية بدرجة كبيرة، فإن الحياة الحضرية باتت تعتمد على اتجاهات وسياقات القيم الفردية التي تقودها عمليات التحول التدريجي نحو الحضرية وتبني أسلوب حياة يقوم على أساس العقلانية في التفاعلات اليومية، كما أن العلوم الوظيفية التي أخذت تزدهر في المدينة قد وضعت أسس هذا التحول بعدما كان الواقع الاجتماعي يتميز بالعاطفية والعمومية في التفكير، ولعل أهم إشكالية تواجه الإنسـان في المجتمعات النامية أو التقليدية هي الإشكالية التي تحكم العلاقة بين العلم والتقليد، فالمقصود بالعلم في هذا السياق منظوره الواسع الذي يرتبط بالمعرفة المنتظمة عن الحقائق الطبيعية والاجتماعية والثقافية وقوانين صيرورتها، ولعل هذا الاتساع يدخل في نطاق العلم، وقد ساعد العلم على التحكم بالبيئة وهو أساس التحديث في أوربا، فعملية التحديث هي التغيير نحو أشكال من النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي طورت في أوربا الغربية من القرن السابع عشر إلـى التاسع عشر، وكانت العلمانية أحد الأسس التي اعتمدت عليها[1].

جميع أهل الفكر يعلمون ويمارسون الموضوعية ويعتمدون على حقائق الميدان التي هي أهم ركيزة لجميع علوم هذا العصر، أما التقليد فهو الموروث الثقافي الذي تمثل القيم والمعايير والعادات أهم مكوناته، وهكذا عندما يوضع العلم والتقليد في معادلة واحدة فإن العلاقة بينهما لا يمكن أن تخلو من جدلية وتشنج يصل في بعض درجاته إلـى حد التناقض والتضاد، وبناءا على هذا التناقض تبرز صورة اغتراب أهل العلم والفكر في المجتمعات النامية ومنها المجتمع العربي، لكنه تناقض لا يجري

[1]– http// ،www.darislam.com/home/alekek/14/05/2004 .

بهذه البساطة التي توحي بها المعادلة التي يراد بها التوضيح فحسب، فالواقع الذي يتفاعل فيه العلم والتقليد واسع ويظهر في مجالات شتى، فالسحر بأشكاله المتعددة لا يزال يستعمل ويمارس في المجتمعات الريفية باعتباره جزء لا ينفصل عن التقليد، وقد جاء الطب الحديث بديلا عنه لكنه ظل يلقى معارضة بسبب قوة العقائد العمومية، وكذلك الحال فيما يتعلق بمكانة المرأة فهي في ظل التقليد لا يزال ينظر إليها أقل مكانة من الرجل باعتباره أذكى منها، بينما في ظل الحياة الحضرية الحديثة إذ أثبت العلم الحديث بما لا يقبل الشك أن الأنثى والذكر لا يختلفان في هذه وسواها من الاستعدادات[1].

وبناءا على ذلك عُدَّت المدينة بيئة خصبة لازدياد التفكير العلمي القائم على أساس الحقائق الموضوعية والميدانية وهي تختلف عن الاتجاهات العاطفية المرتبطة بمنظومة القيم الريفية التي تعتمد على التقليد في التفكير ونقل التصورات عن نمط الحياة الاجتماعية، ومع ازدياد الأخذ بناصية العلم ازدادت قدرة الإنسان على السيطرة على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والتي تفاقمت في الحياة الحضرية ولاسيما بعد الثورة الصناعية، حيث لم تعد التصورات التقليدية قادرة على حل ما يواجهه الإنسان في حياته الجديدة، كما حصل في أوربا خلال القرن السابع عشر والثامن عشر من صراعات فكرية واجتماعية انتهت فيما بعد لتبني العلمانية كطريق للحياة الجديدة في أوربا والتي أدت إلى تفكك وتحلل البنى التقليدية التي كانت في لحظة ما تصارع الأفكار الجديدة.

7-4- تصاعد النزعة الفردية: لاشك أن التغيرات التي تركتها العولمة في المجتمعات المحلية أدت إلى تبديل الأنماط السلوكية القائمة على التضامن الاجتماعي والقرابي، إلى حالة جديدة تتمثل في تنامي وتصاعد النزعة الفردية، وفي

[1] – النوري قيس، الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة،سبق ذكره، ص394-395.

تفكيك النسيج الاجتماعي بين الأقرباء تحت وطأة الحياة المتغيرة وتنامي المد الحضري وازدياد الاعتماد على الذات، وازدياد الحاجة إلـى الربح المادي الذي يحتل أهمية كبيرة في حياة أهل المدينة، وبالتأكيد فإن ذلك سوف يزحف على حساب العلاقات القرابية والتضامن الاجتماعي ليتبدل نمط الإنتاج من المحلي المعيشي إلـى الإنتاج على مستوى التصدير وإحلال النظام المهني التخصصي محل النظام الأحادي التقليدي في عملية الإنتاج المحلي، ويشير "**بارسونز**" إلـى أن الأسرة بعد أن تخلت عن بعض وظائفها في مجتمع المدينة أصبحت أكثر تخصصا واهتماما بوظيفة التنشئة الاجتماعية في الطفولة المبكرة وعلى الإشباع العاطفي، كما أصبحت أكثر فعالية من نظائرها السابقة في المجتمعات التقليدية، كل هذا له الأثر الواضح في تنامي النزعة الفردية حيث يكون الربح والعمل التجاري أولى اهتمامات الإنسـان الحضري الجديد، لقد صاحب هذا التحول الاقتصادي والمالي تحول مماثل في طراز الحياة الاجتماعية ينعكس عندما تتعمق فيه على واقع الأسرة بوصفها أصغر الوحدات الاجتماعية في المدينة، وما يشير إلـى تفاقم التوجه التجاري والمالي وهيمنته على الحياة الحضرية تفكك الوحدات القرابية الممتدة، ووسط سيطرة الحس الاقتصادي عن الحس القرابي الذي لم يعد يقوى على إلزام الأفـراد بتنفيذ تعهداتهم القرابية والاقتصادية والاجتماعية، تحت وطأة الظروف المتغيرة في المدينة ومتطلبات الأسرة المتزايدة وسيطرة النظام المهني وتقسيم العمل على حياة الأفراد، فضلا عن سيطرة مفهوم الربح على عقلية الأفـراد في المجتمع الجديد، وما تفكك وانحصار شبكات الروابط القرابية الواسعة التي ميزت الحياة الريفية ما هو إلا دليل على قوة الاختراق الثقافي والاجتماعي للتوجه الاقتصادي، وبهذا فإن التغير الناتج عن ذلك أخذ يولد ضغوطا على المؤسسات الرقابية، إذ في أثناء محاولة التغلب على هذه الضغوط فإن المؤسسات الاجتماعية تتغير لتتلاحم تدريجيا– حسب ما ذهب إلـى ذلك "**سميلز**" – بما في ذلك الأسرة، وخلال ذلك يظهر انسجام وظيفي متكامل جديد

في حياة الأسـرة من تعددية الوظائف إلـى التخصصية، كما يظهر ذلك في المجتمع الصناعي، إلـى جانب أصبحت الأسـرة النووية أكثر تمركزا وانتشارا من الأسـرة التقليدية، وفي ذلك إشارة واضحة إلـى اتجاه الإنسـان في المجتمع الحضري إلـى الفردية لتحقيق طموحاته وأهدافه لاسيما وأن فرص الحراك أصبحت أكثر تناولا وبروزا[1].

[1] – النوري قيس، الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، سبق ذكره، ص387.

المحاضرة الثانية : النظريات والمقاربات السوسيولوجية

1-العوامل الاجتماعية وتطور النظرية السوسيولوجية

1-1-الثورات السياسية

1-2-الثورة الصناعية الرأسمالية

1-3-الثورة العلمية

1-4-التغير الاجتماعي والثقافي

2-التحضر والنظرية السوسيولوجية

1-العوامل الاجتماعية وتطور النظرية السوسيولوجية

منذ أن وضع "أوجيست كونت" القواعد الاساسية التي يقوم عليها علم الاجتماع باعتباره علما وضعيا يهتم بدراسة وتحليل الواقع المتغير للحياة الاجتماعية والظواهر والمشكلات التي لازمت ظهور المجتمع الصناعي الحديث، نجد أن مهمة هذا العلم تتركز على نقاط ومهام عدة، تجعل علم الاجتماع علما له مكانته المميزة بين العلوم الاجتماعية

ان ظهور النظرية السوسيولوجية والتي تبلورت بصورة متميزة بعد تعدد فروع هذا العلم وتنوعت قضاياه ومشكلاته الاساسية والتي تزداد يوما بعد يوم ، لا يمكن أن تنفصل عن نشأة علم الاجتماع ذاته، خاصة وان أي علم متميز لا بد وأن تتوافر فيه الخصائص والسمات والشروط اللازمة لقيام هذا العلم، وهذا ما يتبلور في أهمية وجود نظرية علمية مميزة ومتكاملة الخصائص والسمات التي يطلق عليها مصطلح النظرية العلمية.

ان ظهور علم الاجتماع والبدايات الاولى لبلورة ماهية نظرياته السوسيلوجية التقليدية ترجع الى مجموعة من الاحداث السياسية والاجتماعية والتاريخية التي مهدت بدورها لظهور المجتمع الصناعي ذاته، ومن أهم هذه الاحداث المجتمعية ما يلي [1]:

1-1-الثورات السياسية

والتي اجتاحت اوروبا الغربية ، وجاءت على رأسها الثورة الفرنسية التي بدأت 1789 والتي تعتبر كما وصفها كثير من المؤرخين لتاريخ اوروبا الحديثة والعصر الحديث، بأنها أكبر حدث سياسي واجتماعي في العصر الحديث بصورة عامة.

تكمن اهمية الثورة الفرنسية كحدث اجتماعي سياسي واقتصادي وثقافي عامة على طبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية بين الجماعات والنظم الاجتماعية ككل. فلقد

---

1 – عبد الله محمد عبد الرحمن: النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2006،ص19.

عملت هذه الثورة للتمهيد لاعلان حقوق الانسان ومن اهمها حق العمل، التعليم، الانتخاب، أو تغيير مفهوم الحرية بصورة عامة وشاملة ، كما عملت على تغيير الايديولوجيات القومية والمجتمعية والاوروبية والعالمية بعد ذلك.

1-2-الثورة الصناعية الرأسمالية

مع أواخر القرن الثامن عشر والبدايات الالولى للقرن التاسع عشر ظهرت في اروربا الغربية المظاهر الاولية لثورة اقتصادية وصناعية شاملة، أحدثت تغيرات هيكلية في النشاط الاقتصادي والانتاجي وبنية النظام الاقتصادي ومؤسساته، وأحدثت العديد من التغيرات التي تعتبر العوامل المؤسسة لظهور اراسمالية الغربية وانتشارها في العالم بأسره.

لقد جاءت تحليلات الكثير من رواد علم الاجتماع الاوائل تعكس لنا بوضوح بالدراسة والتحليل والتفسير الاثار الناتجة عن حدوث الثورة الصناعية، ونشأة الرأسمالية الغربية بصورة عامة، ربما كانت تصورات "ادم سميث" وكتابه المتميز"ثروة الامم" الاطار الفكري والايديولوجي الاقتصادي لظهور الثورة الصناعية ككل، الا ان اهتمامات علماء الاجتماع الاوائل كانت بمثابة المفسر الاساسي للاثار والنتائج العامة التي تركتها الثورة الصناعية وما ترتب عليها من نشأة الراسمالية ككل.

1-3-الثورة العلمية

جاءت نشأة علم الاجتماع في اوروبا الغربية خلال البدايات الاولى من القرن الثامن عشر ، لتعكس مرحلة تاريخية هامة، ظهرت في هذه المنطقة من العالم، نتيجة لمجموعة من التطورات والاحداث العلمية، التي أدت في مجملها الى حدوث الثورة الصناعية ونشأة الراسمالية كنظام اجتماعي واقتصادي وسياسي وثقافي بصورة عامة، كما جاءت تحليلات العديد من رواد علم الاجتماع و لا سيما من قاموا بتأسيس هذا العلم بتوجيه قضاياه ومشكلاته وظواهره، ودراستها وتحليلها بصورة علمية واقعية، أوبمعنى اخر لقد تبنوا النموذج العلمي في تفسير الظواهر والمشكلات

الاجتماعية وخاصة بعد ان قطعت العلوم الطبيعية مثل الكيمياء والبيولوجيا والفلك والطبيعة والرياضيات والهندسة .. شوطا كبيرا من حيث النظريات والمناهج وطرق الدراسة والتحليل التي تتبناها هذه العلوم في تفسير البيئة أو العالم الخارجي .

1-4-التغير الاجتماعي والثقافي

تعتبر قضيه التغير الاجتماعي والثقافي من القضايا الهامة التي يركز عليها علماء الاجتماع عند تناولهم مشكلات المجتمع الصناعي الحديث، ولاسيما أن جوهر علم الاجتماع والعوامل المشكلة لظهوره وتطوره ترتبط بالدرجة الأولى بمجموعه التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ككل، التي حدثت خلال العصر الحديث، ومن ثم يمكن القول، بان الأحداث الاجتماعية والثقافية كانت بمثابة العامل الأساسي في الأفكار النظرية السوسيولوجيا العلماء الاجتماع والمنظرين عموما لهذا العلم، وتحديد إيديولوجياته وأفكاره الأساسية، كما جاءت هذه الأحداث بمثابة العوامل الأولى التي توجه النظرية السوسيولوجيا بصوره مستمرة و دراستها وتحليلها وتفسيرها عموما، مجموعة التغيرات والآثار والنتائج المترتبة أو الناتجة من التغيرات الاجتماعية والثقافية الذي بدأ يأخذ معدلات سريعة في التطور خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين.

ومن أهم الأحداث الاجتماعية والثقافية التي أسهمت في تطور النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية بل في تأسيسها وتطورها، وظهور الطبقات الاجتماعية العمالية والرأسمالية، التي لم تكون موجودة خلال العصور الوسطى، والتي أخذت أشكالا وأبعادا وأنماطا من العلاقات فيما بينها، وأدت إلى تغير البناءات والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأصبحت جميعها تتشكل حسب التغيرات الإيديولوجية التي توجه في المجتمع الصناعي الحديث، كما ظهرت تغيرات في البناءات والنظم التقليدية كالنظام الأسري والعائلي..

2-التحضر والنظرية السوسيولوجية

يمكن اعتبار النظرية الحضرية، مجموعة فرعية من النظرية الاجتماعية، تمتلك مفردات مفاهيمية مشتركة مع النظرية الاجتماعية، غير أن النظرية الحضرية تتميز عن هذه الأخيرة بإقتناعها بأن الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية مختلفة في المدينة مقارنة مع أنواع أخرى من المجتمعات، وهي غير مستقرة ومعرضة للخطر من قبل العالم غير الحضري. لذلك التمييز الأول الذي يجب علينا أن نلاحظه هو أن الحياة الحضرية ليست عالمية ولا في كل مكان، وأنه نتيجة لذلك، فإنه يشكل مجموعة معينة من المشاكل النظرية بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في فهم مجمل الأنشطة لوظائف أفضل.

ومن ثم فالنظرية الحضرية، تتناول جانبا أو أكثر من التجربة الحضرية – ثقافة الاستهلاك والصراع والمجتمع – والتي تفسر بأوسع معانيها. باعتبار أن الثقافة تشمل نظم الاعتقاد، جنبا إلى جنب مع البيئة المادية المبنية (المباني والجسور والشوارع والحدائق)، ومحتويات وسائل الاتصال (الصحف والكتب والتلفزيون والإذاعة والإنترنت، وغيرها)، وكذلك الإنتاج الثقافي التقليدي (الفن والمسرح والأدب، اوركسترا الموسيقى) والثقافة الشعبية (أفلام، والأزياء، والكتب المصورة، والموسيقى الشعبية).[1]

جاءت عمليه التحضر بأهم التغيرات الاجتماعية الاقتصادية التي لا تزال تحدث تغيرات متميزة في مكونات النظرية السوسيولوجية المعاصرة، ولاسيما أن عمليه التحضر لا يمكن تفسيرها بصوره مجرده بعيد عن الواقع بقدر ما لها من موجهات نظريه وإيديولوجية متطورة، والتي حدثت كثيرا من إيديولوجياتها الاشتراكية نحو

[1] Simon Parker, Urban theory and the urban experience, encountering the city, (New York: Routledge, 2004), p.04 .

الرأسمالية والعمل على تبني سياسات للتحضر والتحديث سواء في إنشاء المدن أو المؤسسات أو التخطيط العمراني أو البيئي بصوره عامة، منذ ظهور علم الاجتماع حتى الوقت الراهن، هو يدرس تحول المجتمعات الريفية إلى مجتمعات حضرية تعيش في المدن وتعمل في المصانع الجديدة أو المؤسسات والشركات التي تخدم قطاعات كبيرة من السكان، كما يهتم العديد من العلماء بدراسة التغيرات التي تصاحب عمليات التحضر مثل ارتفاع الأجور والأسعار، والإنتاج، ووجود فرص للعمل والتوظيف، وعمليات التكيف عموما مع الحياة الحضرية الجديدة[1].

[1] – عبد الله محمد عبد الرحمن: النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2006،ص 26

المحاضرة الثالثة: المدينة عند ماكس فيبر

1-الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر في علم الاجتماع

2-النماذج المثالية عند ماكس فيبر

3-علاقة النماذج المثالية بالواقع

4-السلطة عن ماكس فيبر

5-البيروقراطية والعقلانية عند فيبر

6-النموذج المثالي للبروقراطية عند فيبر

7-التغير والتنظيم الاجتماعي

1-الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر في علم الاجتماع

تعريف ماكس فيبر لعلم الاجتماع :" ذلك العلم الذي يريد الوصول إلى معرفة تفسيرية **للفعل الاجتماعي**، من أجل التوصل إلى تفسير علمي لتجريد هذا الفعل وأثاره."

والفعل الاجتماعي حسب تعريف ماكس فيبر، والذي يجب أن يكون موضوع دراسة علم الاجتماع هو أي سلوك إنساني، يضفي عليه الفاعل مفهوماً ذاتياً، والفاعل حين يقوم بهذا الفعل الاجتماعي، فإنه يضع سلوك الآخرين دائماً في اعتباره، ويكون فعله بالتالي موجهاً نحو الآخرين.

تعتمد نظرية الفعل الاجتماعي على قضية أساسية فيما يتعلق بتفسير و تأويل السلوك الإنساني ألا وهي أن كل سلوك هو سلوك هادف، أي أن الفاعل الاجتماعي لبلوغ هدف أو غاية ما فإنه يختار عدة وسائل وأنماط سلوك متعارف عليها اجتماعيا للوصول إلى غاياته، حيث يتضمن الفعل اختيار الفاعل لعدد محدود من الوسائل التي تحقق هدفه دون وسائل أخرى، وبذلك يحصل التمايز بين الوسائل والغايات، ولا يقتصر الفعل الاجتماعي، ولكل فاعل اجتماعي طريقته الخاصة في معرفة أساليب السلوك وسياقاتها الإجتماعية. تميز النظرية الاجتماعية عادة بين الفعل والسلوك، فبينما يشكل السلوك حركة بدنية أو (فطرية) بحتة تصدر عن الشخص الذي قام بها، يكون الفعل نابعا من قصد وهادفا إلى غاية.

لقد أخذ ماكس فيبر أن وحدة التحليل الرئيسية للمجتمع، هي الفرد الفاعل، ويقول في ذلك:" إن علم الاجتماع التحليلي يعتبر الفرد وفعله هو الوحدة الرئيسية أو الذرة، فالفرد هو الشيء الوحيد الذي لديه سلوك له معنى، أما المفهومات الأخرى مثل الدولة أو الرابطة أو الإقطاع فإنها تدل إلى فئات محددة من التفاعل البشري" وعلى هذا فإن مهمة علم الاجتماع هي اختزال مثل هذه المفهومات إلى فعل يمكن معرفته، أي إلى أفعال الأفراد المشتركين في النشاط، وقد اعتمد فيبر في بنائه للنماذج المثالية

تصنيف رباعي للفعل الاجتماعي، فحدد أربعة [1]أنماط للفعل الاجتماعي وكل نمط منها يشكل نموذجا قابلا للتفسير وفهم سلوكيات ووقائع اجتماعية في الواقع دون أن يكون النموذج مطابقة تماما لنمط الفعل.

1-1- الفعل العقلاني بالنظر إلى الهدف

وهو الذي تتحدد عقلانيته من خلال توقع الفاعل لسلوك موضوعات البيئة الخارجية أو سلوك الأشخاص الآخرين، وهذا الفعلي يتصف بأن الفاعل فيه يدرك بوضوع هدفا معينا يريد تحقيقه وتكون لديه أساليب مناسبة لتحقيق هذا الهدف مثلا المهندس أو الطبيب أو القائد العسكري.

1-2- الفعل العقلاني الذي يرتبط بقيمة ما

و هو الفعلي الذي لا يهدف إلى تحقيق هدف خارجي معين بالنسبة للفرد بقدر ما ينجز من خلال الاعتقاد الشعوري بالقيم المطلبة ذاتها، فالفاعل هنا يتصرف عقلانيا ليس من أجل هدف مادي أو مصلحة بل يظل أميناعلى فكرة أو قيمة الشرف لديه كالجهاد في سبيل الله والوطن.

1-3- الفعل العاطفي

وهو سلوك يتأسس على حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل. حيث يختار الإنسان الوسائل لا على أساس ارتباطها بغايات وقيم ولكن لكونها تنبع من حالة انفعالية عاطفية كصفع الأم لطلفها أو صفعة يوجهها لاعب لزميله في مباراة كرة القدم. وخروج الناس في مظاهرة سلمية ثم يهيج المتظاهرون ويقومون بشغب فيتدخل رجال الشرطة ويحدث قتلى وجرحى، فهذه أفعال ليس مخطط لها مسبقا.

1-4- الفعل التقليدي

[1] – ماكس فيبر. الاخلاق البروتستانية وروح الرأسمالية، ت: محمد علي مقلد، مركز الانماء القومي، لبنان ، بيروت، 322.

وهو الذي تقرره العادات والمعتقدات بحيث يصبح معتادا ويشكل طبيعية ثابتة للإنسان يطيعه لا إراديا لأنه أصبح مفروضة عليه شرطيا، كالصوم...

2-النماذج المثالية عند ماكس فيبر

ارتبط اصطلاح النموذج المثالي باسم ماكس فيبر حيث رأى فيه أداه منهجية تعين الباحث في دراسة الفعل الاجتماعي، ويقول أن هذا المصطلح ليس من ابتداعه ولكنه استخدم من قبله في الدراسة العلمية، ويقول إن النموذج المثالي هو بناء وتشييد عقلي يتشكل من خلال ظهور أو وضوح سمه أو أكثر، أو وجهات نظر يمكن ملاحظتها في الواقع.

تعريف فيبر للنموذج المثالي بأنه:" وصف مشتق منطقيا، من وجهة نظر محددة، قادر على توضيح العلاقة بين الوسائل والغايات بالنسبة للأفعال والأحداث، وعملية تفسير الأفكار، بحيث يمكن الباحث من ترجمة الأفكار الجزئية المتنافرة والتفسيرات والارتباطات إلى مصطلحات علمية مفهومة."

فالنموذج المثالي هو إجراء منهجي يساعد على دراسة الفعل الاجتماعي من خلال مقارنة النمط المثالي المصاغ مع الواقع التجريبي لإثبات مدى انحرافات هذا الواقع عن المثال أو تماثله معه، ومع ذلك فقد أشار فيبر أن هذه النماذج المصاغة ليست واقعية أو تعبر عن نماذج موجودة بالفعل، بل هي ، مثال أو يوتوبيا ليست بالضرورة متفقة مع معطيات الواقع .

3-علاقة النماذج المثالية بالواقع[1]

النمط التصوري: يربط بين مجموعة علاقات وأحداث الحياة التاريخية داخل نسق معقد يتسم بالاتساق الذاتي.

[1] – رايمون بودون ورينو فويول، الطرائق في علم الاجتماع، ت : مروان بطش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 2010، ص 261.

الناحية المادية: يشبه هذا المفهوم اليوتوبيا التي تصل إليها عن طريق تحليل تجريدي لبعض العناصر الواقعية.

أما علاقة هذا المحتوى بالبيانات الامبيريقية فتتمثل فقط في أن العلاقات التي يشير إليها النمط من خلال مفاهيمه المجردة إنما هي مستمدة من الواقع، وإن كانت لا تتحقق بصورة واقعية، ونستطيع أن نجعل الملامح الخاصة بهذه العلاقات واضحة ومفهومة عمليا بالرجوع إلى النموذج المثالي. ولا يمكن الاستغناء عن هذا الإجراء سواء في أغراض العرض أو التفسير.

يفيد مفهوم النموذج المثالي في تطوير مهارات البحث، وهو ليس فرضا، ولكنه يساعد في تنمية الفرضيات وصياغتها، كما أنه لا يصف الواقع، وإنما يهدف إلى تقديم وسائل واضحة للتعبير عن هذا الواقع، ويكون النموذج المثالي من خلال تجريد وجهة نظر أو أكثر، والتأليف بين مجموعة كبيرة متنوعة من الظواهر الفردية الملموسة ثم ترتيبها وفقا لوجهات النظر هذه داخل بناء منطقي تحليلي، وهذا البناء العقلي لا يتحقق في الواقع امبيريقيا بصورته الخالصة،. ويواجه البحث التاريخي مهمة تحديد مدى اقتراب الواقع من النموذج المثالي، أو ابتعاده عنه في كل حالة فردية.

4-السلطة عن ماكس فيبر

لقد كان لماكس فيبر منهجا خاصا به ، حيث وظفه في دراسات متعددة، سواء في دراساته الاقتصادية (الأخلاقيات الاقتصادية للدين) أو دراسته حول السلطة وكذا دراسته للبيروقراطية.

ففي دراسته حول السلطة مثلا رأى أن السلطة تستمد مشروعيتها من مصادر ثلاثة أو تقوم على مصادر ثلاثة للشرعية. وطبق في هذا السياق منهج – النماذج المثالية. وفي هذا المجال وضع ثلاثة نماذج للسلطة وهي[1]:

4-1- السلطة العقلانية

وهي أفضل أنواع السلطة وهي النموذج السائد في الأنظمة الرأسمالية المؤسسة على البيروقراطية. وفي هذا النموذج تجد نسقا من القواعد التي تطبق قانونية وإداريا وفقا لمجموعة من المبادئ المؤكدة والثابتة بين كل أعضاء الجماعة، وهدف هذه السلطة هو إقامة نمط من العلاقات بالنظر إلى مبادئ العقل والمعقولية، دون ربطها بأشخاص محددين أو بزمن محدد.

4-2- السلطة التقليدية

وهي تقوم على الاعتقاد بقدسية التقاليد الراسخة وفي حق أولئك الذين يتولون السلطة في ممارستها. فالسلطة هنا تكتسب مشروعيتها إما في التاريخ أو من قدسية الأشخاص المؤسسين لها.

4-3- السلطة الكاريزمية

وتعتمد، ولاء الناس أو الإتباع لفرد معين يتمتع بامتيازات وقدرات نادرة وخصائص شخصية يندر أن تتوفر لغيره. ويعتقد فيبر أن معظم التغيرات الكبرى في تاريخ المجتمع الإنساني كانت نتيجة الأفراد ذوي إمكانيات كاريزمية، كما يرى أن السلطة الكاريزمية ارتبطت أولا بالدين ثم أصبحت تميل في العصر الحديث إلى أخذ طابع سياسي.

---

[1] – تيماشيف نيقولا. نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، ت : محمود عودة، دار المعارف ، جمهورية مصر العربية ، 1970، ص 415.

5-البيروقراطية والعقلانية عند فايبر

جاءت أفكار "**فيبر**" وإسهاماته في النظرية السوسيولوجية من خلال مجموعة كبيرة من الكتابات والتحليلات، التي لا تزال تعد اهتماما ملحوظا ليس فقط لدى المهتمين بدراسة النظرية السوسيولوجية فحسب، ولكن أيضا من جانب المتخصصين في العديد من الفروع المتخصصة في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى، وهذا ما ينطبق بالضبط على دراسة **فيبر** عن البيروقراطية، التي تعتبر من أهم إسهاماته والتي تنسب إليه مفهوما ونظرية واضحة المعالم، وترتبط بكتاباته وبأفكاره التصورية، التي أسهم بفضلها في وضع أسس احد فروع علم الاجتماع المتخصصة، كما تكمن أهمية تحليلات **فيبر** عند وضعه نظرية البيروقراطية من خلال استخدامه المنهج التحليلي المقارن من ناحية، ومقوله الفهم السببي من ناحية اخرى في دراسة تطور النظم الاجتماعية عبر العصور التاريخية، ولقد طرح ذلك **فيبر** في اطار تحليلاته للتنظيمات التقليدية ثم التنظيمات الكاريزمية واخيرا العقلانية التي تظهر بفضل ظهور البيروقراطية، والتي اعتبرها فيبر أعلى مراحل التطور العقلاني للفعل والسلوكي والتنظيمات والمجتمعات البشرية.

ويتميز مصطلح النموذج المثالي في البيروقراطية لدى **فايبر** كنوع من التنظيم التسلسلي والبعد العقلاني الذي يتضمن قطاعات كبيرة وخاصة في المجالات الادارية الكبرى، اما استعمال هذا المفهوم ليميز به نوع من البناء، وبصفة خاصة التنظيم العقلاني باعتباره الشريط الاحمر أو الخط الفاصل، بمعرفة العناصر البعيدة عن الكفاءة والفعالية، ولرفضه للتعريفات الشائعة عن البيروقراطية التي ظهرت في العديد من الكتابات المختلفة، فايبر يرمي لتكوين نمط مثالي خالص للتنظيم العقلاني للبيروقراطية، كصفة مجردة لها محاكاة

ومقاييس معينة، تستخدم من قبل الباحثين والدارسين في مجال التنظيمات البيروقراطية، وبعيدا كل البعد عن تلك التعريفات الشائعة لها، والذي ظهرت قبل **فايبر**، والتي تختلف عنها كمفهوم علمي متميز، ولقد تطور المفهوم البيروقراطي المفهومات التي ظهرت قبله وبعده مثل الطبقة الايديولوجية، والارستوقراطية... ولكن التحليل **الفايبري** ذات المستوى الميكروسكوبي، ميز البيروقراطية باعتبارها أفضل نظام تحت حكم القانون، والتي تعمل على حل المشكلات بصورة افضل[1].

6-النموذج المثالي للبروقراطية عند فايبر[2]

يرتبط التنظيم بالقواعد الوظيفية وبمستوى خاص أو معين من الكفاءة الادارية، كما انه يقوم على مبدأ أو اسلوب تقسيم العمل وهذا بالضرورة يحتاج إلى اجراءات وقواعد لخضوع الاعضاء وامثالهم، في جميع الحالات والظروف التي تحيط بظروف العمل الوظيفية والمهنية، كما يتالف من خلال اعضاء الجهاز الاداري أو هيئة التسلسل التي يتم اختيارهم وفقا لنظام التعيين والانتخاب، ويخضع هؤلاء الاعضاء في التنظيم جميعا لمبدأ التسلسل حيث يخضع كل عضو من اعضاء التنظيم اداريا ووظيفيا للفرد الذي يعلوه و يفوقه في المرتبة الوظيفية، وهذا التسلسل بالطبع يأخذ طابعا أو شكلا هرميا، والقواعد والإجراءات الوظيفية تقوم على أسلوب رتيب خاص، حيث توجد القواعد التكنيكية المعيارية من الترشيد، بالإضافة إلى أن وضع أفراد أو أعضاء التنظيم بعيدين كل البعد عن امتلاك وسائل السيطرة والإنتاج، أما القواعد بصفة عامة، فهي صارمة جامدة، وتكون مسجلة أو مكتوبة حتى تكون في الحالات التي تكون فيها

[1] - عبد الله محمد عبد الرحمن : النظرية في علم الاجتماع -النظرية الكلاسيكية- دار المعرفة الجامعية، 2006، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية، ص 267.

[2] - عبد الله محمد عبد الرحمن: نفس المرجع،ص 278.

المناقشات بين الاعضاء شفوية، فيكون لها طابع الالزام أو صلة الجبرية مثل القواعد أو الوثائق المكتوبة.

7-التغير والتنظيم الاجتماعي

ما من شك في أن اسهامات **فايبر** في النظرية السوسيولوجية لعلم الاجتماع تعتبر من الاسهامات المميزة، التي لا تزال تجد لها قبولا علميا واكاديميا واسع النطاق، والسبب يرجع بالطبع إلى كتابات فايبر في النظرية السوسيولوجية وربطها باطار منهجي وعلمي محدد، وبلورة كثير من هذه الكتابات بمجموعة من الدراسات الميدانية، التي صقل بها تصوراته الفكرية والنظرية، والتي ظهرت على سبيل المثال فيما يعرف بالنماذج المثالية التي طرحها فايبر في معظم كتاباته وتحليلاته النظرية، وتعد من الاسهامات النظرية السوسيولوجية التي حدد الفايبر اهدافها منذ البداية، لتكون بمثابة تصورات عقلية يهتم بها الباحثين لاختبار الواقع الاجتماعي المتغير الذي يعيشون فيه، نجد أن فايبر كرائد من رواد البنائية الوظيفية الكلاسيكية، اهتم بوضع الخطوط العامة لنظرية التغير الاجتماعي، التي تعتبر من اهم النظريات السوسيولوجية المعاصرة ويهتم بها جميع علماء الاجتماع في تخصصاتهم الفرعية أو المجالات العامة في علم الاجتماع، وسع كثير من هؤلاء العلماء سواء على المستوى النظري والميداني، أن يحدد طبيعة الجهود التي بذلها فايبر في كتاباته لابراز مشكلة التغير الاجتماعي كقضية خاصة ومتميزة.

ان اهتمامات فايبر جاءت انعكاسا لظروف العصر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي عاش فيه، كما يظهر ذلك في كتابه عن التغير والتطور في التنظيم الاجتماعي، الذي ظل شاغله الاول منذ بدايات تحليلاته حتى المقالات الاخيرة التي وضعها قبل رحيله، كما جاءت معظم تحليلات فايبر لتعكس عمليات التحول الاجتماعي والتطور المستمر الذي يحدث على مستوى الفعل والسلوك البشري، وايضا الجماعات

والمجتمعات الانسانية، وهذا ما ظهر على سبيل المثال في دراسته للتحول نحو البيروقراطية، أو التحول نحو التصنيع والتحديث، لتعكس لنا عمليات التحول والتطور والتغير و كيفية انتقال المجتمعات من المرحلة التقليدية إلى المرحلة الكاريزمية، واخيرا المرحلة العقلانية.

حرص فيبر على عملية تصنيف عمليات التطور خلال كل مرحلة من مراحل التغيير والتطور، وهذا ما وضعه فايبر عندما اشار إلى مجموعة الخصائص العامة التي تتصف بها مرحلة البيروقراطية الاكثر عقلانية وهي مرحلة المجتمعات الصناعية الحديثة.

المحاضرة الرابعة: مقاربة جورج زيمل

1-طبيعة المجتمع عند جورج زيمل في علم الاجتماع

2-المنهج العلمي والنماذج المثالية جورج زيمل

3-التفاعل الاجتماعي

4-النمط الجماعات الثنائية أو الثلاثية عند زيمل

5-التفاعل الثقافي عند زيمل

6-الحياة البشرية عند زيمل

7-مقاربة زيمل للنظرية السوسيولوجية

1-طبيعة المجتمع عند جورج زيمل في علم الاجتماع

ينشأ المجتمع من وجهة نظر زيمل عن التفاعل النفسي بين الكائنات الإنسانية كأفراد، وكأعضاء في جماعات، والمجتمع في الحقيقة ليس شيئاً عادياً ولكنه عبارة عن عملية معقدة، فهو مجموعة من العلاقات المعقدة، أو الأحداث أو الوقائع أو الأشياء الوظيفية التي يخلقها الأفراد، ويعيشون فيها وتعبر عن تفاعل خبراتهم.

وكثيراً ما كان زيمل يتجنب إستخدام كلمة المجتمع، ويستخدم بدلاً منها مصطلح الهيئة أو الرابطة ليشير إلى الطبيعة الحقيقية للواقع الاجتماعي، ومع ذلك فإن التفاعل النفسي لا يكون عملية الترابط، فليس الترابط مجرد تبادل النظرات بين الأفراد، أو بين فردين يمران في الشارع ولكن الترابط يتكون من الظواهر الكبرى التي إذا ما تكررت تشتد وتقوى، ويكون لها طبيعة العمليات الاجتماعية، فالوجود معاً والترابط الكامل يفترض أن يعمل على استمرار التأثير المتبادل الكثيف، وحتى الجماعات الكبيرة أو التنظيمات، التي تتكون من العلاقات بين الأفراد، والتي تتطابق مع فكرة المجتمع عند زيمل، هذه الجماعات ليست سوى تعبير عن التفاعلات المباشرة بين الأفراد، وهذه العلاقات ليست نفسية فحسب ولكنها أيضاً علاقات أخلاقية، وهذا القول عند جورج زيمل يتضمن مبدأين أساسين:

* أنه في أي شكل من أشكال التفاعل، عندما يفقد أحد طرفي العلاقة التفاعلية أهميته عند الطرف الآخر، فإن أي علاقة يراها أحد الطرفين مهمة في حين يراها الطرف الآخر مجرد طريقة لتحقيق هدف لا يرتبط بالطرف الأول، أو إذا وجدت اللامبالاه الكاملة من جانب أحد الأطراف نحو الآخر، فإن العلاقة الناشئة لا تعتبر علاقة اجتماعية على الإطلاق، بسبب عدم وجود رابطة في مثل هذه الحالات

* يمكن النظر إلى المجتمع على أنه نسق من العلاقات الأخلاقية والقانونية التقليدية بين الأفراد، وأن هذه الرابطة تتضمن تبادل الحقوق والواجبات، وهذا المبدأ يستخدم في تحليل علاقات القوة والسيادة والسيطرة، ولا مجال للإجبار في العلاقات

الاجتماعية، لأن التفاعل يتضمن بالضرورة قدراً من الفعل والاختيار واتخاذ القرار وهذا لا يحدث من جانب الأفراد المجبرين، ومعنى ذلك أن مفهوم التفاعل الاجتماعي عند زيمل يستبعد العلاقات التي قد تنشأ بين الإنسان والأشياء من مجال علم الاجتماع، أي أنها لكي تكون داخله في مجال علم الاجتماع لا بدّ أن تكون بين أشخاص، وفضلاً عن ذلك يرى زيمل أن العمليات التي قد تؤدي إلى الإنحلال هي عمليات هامة في حياة الجماعة مثل الترابط تماماً، حيث أنه ليس هناك جماعات متجانسة تجانساً تاماً، وإذا أمكن وجود مثل هذه الجماعة فلن توجد فيها أية حياة، ولذلك نجد أنه في علاقات الزواج هناك قدر معين من الصراع، فهو عنصر ضروري، كما أن المعارضة هي الوسيلة الوحيدة التي تساعد الأفراد الذين يقوم بينهم عداء على أن يتحملوا وجودهم معاً في رابطة واحدة، ومع ذلك فإن الصراع وحدة لا ينتج صوراً اجتماعية، غير أن وجودها إلى جانب قوى الترابط يكونان معاً الوحدة الواقعية الحية للجماعة.

2-المنهج العلمي والنماذج المثالية جورج زيمل[1]

تميزت تحليلات زيمل بانه سعى لاستخدام خط فكري مجرد يبعد إلى حد ما عن النظريات السوسيولوجية التي كانت سائدة خلال القرن 19 ولا سيما النظريات العضوية، التاريخية ذات الطابع الوصفي للاحداث التاريخية، والتي انتشرت في المانيا، ولهذا حاول **زيمل** أن يحدد طبيعة المجتمع الحديث وتكوينه من مجموعة معقدة من انماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية، التي يجب أن يكرس لها علم الاجتماع اهتماماته، ومعرفة العوامل والمؤثرات الاجتماعية والتاريخية التي تغيرها بصورة مستمرة.

[1] – عبد الله محمد عبد الرحمن : النظرية فيعلم الاجتماع –النظرية الكلاسيكية– دار المعرفة الجامعية، 2006، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية، ص312.

فلقد كرس زيمل توجيه أفكاره لجعل علم الاجتماعيات يبعد إلى حد ما عن المداخل العضوية التقليدية، و يركز على تحليل العلاقة بين الطبيعة والمجتمع، ودراسة العمليات الاجتماعية باعتبارها عمليات معقدة عن العمليات البيولوجية، فالحياة الاجتماعية عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات وغير بسيطة مثل الظاهرة البيولوجية، نظرا لتعقد طبيعة الكائنة الاجتماعية ذاته، لذا حاول زيمل أن يغير من المداخل الميثودولوجية التي ينتهي بها علم الاجتماع، وان يتبنى المناهج التي تنتهجها العلوم الطبيعية من اجل دراسة الجنس البشري وعلاقاته وسلوكه المعقد، وهذا ما يجعل علم الاجتماع احد العلوم الاجتماعية المميزة، التي يجب أن تركز على دراسة القوانين التي تحكم جميع التطورات والتغيرات الاجتماعية.

في هذا الإطار اهتم زيمل بمعالجة مفهوم علم الاجتماع موضحا العوامل التي تؤدي لتحديد خصائص هذا العلم وموضوعاته ومجالاته وخاصة بضرورة تبني المناهج العلمية في دراسة قضاياه والظواهر التي يهتم بمعالجتها، وتحديد ماهيته عن غيره من العلوم الاجتماعية الأخرى، كما حاول زيمل أن يعطي بعض الأمثلة على ذلك وخاصة العلوم التي سبقت نشأتها التاريخية ظهور علم الاجتماع ذاته، ولاسيما علم السياسة والاقتصاد، كما أكد على أن مفهوم (المجتمع) ككل يعد المفهوم الرئيسي في علم الاجتماع والذي يجب أن يركز اهتمامه لدراسته بصورة اكثر تحليلا وواقعيا، اي يجب أن يهتم علم الاجتماع بتحليل البناءات الاجتماعية الواقعية وما يتضمنه من تنظيمات اجتماعية ومصالح عامه وفرضية متضاربة، والعديد من العلاقات الاجتماعية مثل السمو والدونية والمنافسة وتقسيم العمل وغيرها من العلاقات الاجتماعية المتغيرة، كما يجب أن يكرس علم الاجتماع جهوده لمعرفة الأسباب التي تؤدي إلى التغير في البناء الاجتماعي الواقعي ونمط العلاقات والتنظيمات الاجتماعية ، والظروف التي تؤدي إلى التغير أو إعاقته، ما يصعب

على علم الاجتماع من الناحية المنهجية أن يتبنى منهجا معينا بقدر ما يجب أن يتبنى مجموعه من المناهج المشتركة لدراسة الظواهر الاجتماعية ، مثل استخدام منهج التحليل الهندسي في دراسة الظواهر الطبيعية.

*جورج زيمل ومنهج علم الاجتماع

وإن كانت تصورات زيمل حول منهجية علم الاجتماع ترتبط بالطبع بأفكاره النظرية السوسيولوجية وتحديده للقضايا والموضوعات، التي يجب تم بها هذا العلم وعلمائه وباحثيه، حرص زيمل على توضيح بعض الطرق أو الوسائل التي عن طريقها يحدد خصائص هذا العلم، والذي يتبلور في ضرورة أن يعين علم الاجتماع موضوعا محددا ويطبق عليه المناهج العلمية، كما يجب أيضا أن يحدد مفاهيمه أو لغته المتخصصة، ويسعى في الوقت ذاته، أن يوضح كيفية حدوث ما يعرف بتقسيم العمل بين العلوم الاجتماعية والطبيعية، وذلك حسب طبيعة المفاهيم التي تقيم نوع من التمايز أو التفاضل بين هذه العلوم، وبفضل هذه المفاهيم يمكن إقامة قواعد لإقامة علوم مثل السياسة، الاقتصاد... وعلوم أخرى تخصصت في دراسة الثقافة الإنسانية، ومن هذا المنطلق تصور زيمل أن أفكار بعض العلماء هي التي تميز أخرى، كما حدد ذلك **اوغيست كونت** في وضعه علم الاجتماع على قائمه العلوم أو تصدرها لها جميعا، حيث يعد ذلك أمرا غير منطقي أو تعديلا من الناحية العلمية، لأنه لا يوجد علما اجتماعيا فريدا عن العلوم الأخرى، حيث تتكامل جميعها في دراسة الواقع الفعلي للحياة البشرية.

3-التفاعل الاجتماعي[1]

في إطار تحليلينا لإسهامات جورج زيمل في النظرية السوسيولوجية وخاصة كتابه المميز حول(نظريه التفاعل الاجتماعي)، التي تعتبر جزءا أساسيا من مكونات النظريات السوسيولوجية الفرعية، التي تندرج تحت إطار النظرية البنائية الوظيفية الكلاسيكية في علم الاجتماع، نجد أن أفكار زيمل التي امتزجت بين التاريخ والفلسفة والأخلاق والميتافيزيقا وعلم النفس والاقتصاد وهكذا علم الاجتماع، جميعها على دراسة العلم الأخير بعد قيامه بوضع عدد من الأفكار السوسيولوجية التي طرحها بالفعل في مجموعة المؤلفات المتخصصة في علم الاجتماع، ولم تتناولها أماكن عدة من جانب المفسرين للنظرية السوسيولوجية الكلاسيكية حتى المعاصرة، كغيرها من مؤلفات علماء الاجتماع التقليديين

تبلورت استخدامات زيمل للمنهج عندما درس الجماعة الاجتماعية وأنماط التفاعل الاجتماعي الثقافي، وتحديده لعدد من أنماط الجماعة والتفاعل والعلاقات الاجتماعية ، والتي بلورها في إطار تصوراته العامة حول الأشكال الاجتماعية والصورية التي توجد في الواقع، ولقد طرح مجموعة معينة من أنماط الجماعة والعلاقات الاجتماعية التي تصاحبها، هذا ما ظهر في تحديده لما يعرف بالجماعات الثنائية، والتي تتكون من شخصين فقط الثلاثية التي تتحدث من ثلاث أشخاص، وتصور أيضا أن الشخص الثالث في الجماعة يكون أكثر فاعلية في أنماط العلاقات والتفاعل داخل الجماعة، مكونات عملية التفاعل بها واعتبر أن الشخص الثالث هو صاحب التغير السببي والراديكالي والجوهري داخل بناءات الجماعة وصور علاقاتها وأنماط أشكالها، كما حاول أن يؤكد على أن الزيادة العددية

[1] – عبد الله محمد عبد الرحمن : النظرية فيعلم الاجتماع نفس المرجع، ص315.

للجماعة هي التي تعكس تعدد نمط العلاقات وتفسير طبيعة أشكالها ومضمون ومحتوى أفعالها وبناءاتها ككل.

4-النمط الجماعات الثنائية أو الثلاثية عند زيمل

طور جورج زيمل النمط الجماعات الثنائية وثلاثية الأشخاص، تحليله لتطور البناءات الاجتماعية، وهذا ما حل له في تصوراته حول أنواع الجماعات الاجتماعية الصغيرة، التي تتكون من أربعه أشخاص، والجماعات الكبيرة التي تتكون من خمسة أشخاص فأكثر، والتي تتطور حسب تطور المعايير والأعراف والقوانين الاجتماعية ، والتي تختلف عن الجماعات الثنائية والثلاثية، وإن كان زيمل يستخدم النماذج المثالية في تحديده للعلاقة التطورية والتفاعلية بين مكونات أو بناءات الجماعة ونوعية تغيير الحجم وشكل العلاقات والتفاعل الاجتماعي ونمط الارتباط والتضامن، الذي يتغير من الجماعات الصغيرة إلى الكبيرة التي يتكون منها المجتمع الأكبر.....

5-التفاعل الثقافي عند زيمل

ناقش زيمل قضية الثقافة أو التفاعل الثقافي وذلك في إطار تحليله للثقافة الذاتية الفردية وما أسماه بالثقافة الموضوعية، فلقد تصور زيمل أن الأفراد أو الناس يتأثرون ويتهددون ليس فقط بواسطة البناءات الاجتماعية، ولكن أيضا بإنتاجهم الثقافي ذاته، وهذا ما جعله يميز بين الثقافة الفردية أو ثقافة الفرد ثقافة الموضوعية فالثقافة الموضوعية هي ذلك النوع من الثقافة التي يقوم الإنسان أو الفرد بإنتاجها مثل الفنون والفلسفة والعلم وغيرها، ولذا فإن هذا النوع من الثقافة هو الذي يحدد الثقافة الذاتية للفرد والتي تعكس القدرة التي يستطيع بها الفرد أو الفاعل في إنتاجها

وامتصاصها أو تمثيلها أو السيطرة على عناصر الموضوعية، وهذا النوع من الثقافة هي التي تعطي للحياة طابعا مميزا محددا.

6-الحياة البشرية عند زيمل

كما ناقش زيمل أيضا طبيعة الحياة البشرية عندما حلل من منظور ديالكتيكي، كما يرى بعض المفسرين للنظرية السوسيولوجية عامة بأن هذا التحليل يعكس فلسفة **زيمل** سوسيولوجيا أو بمعنى أدق بعلم الاجتماع الفلسفي، والتي ناقش فيها طبيعة نشأة البناءات الثقافية والاجتماعية والتي اتخذ منها موقفا تحليليا ومعرفيا قريبا جدا من تصورات كارل ماركس وخاصة كيفية نشأة البناءات الاجتماعية والثقافية الرأسمالية الحديثة، وهذا ما ظهر في تحليلات زيمل واستخدامه لمفاهيم حياة أكثر والتي يقصد بها أن الناس بأفكارهم وأفعالهم ينتمون إلى الحياة الاجتماعية، وخلال هذه العملية يقومون بإنتاج أنفسهم، كما أن خلال حدوث العملية يقوم الأفراد بإنتاج مجموعة من الأشياء والأهداف والغايات والتي أطلق عليها مصطلح أكثر من الحياة وصل إليها زيمل، لاسيما الناس ينتجون في حياتهم مجموعة من أنماط الحياة الثقافية والاجتماعية ويعتبرون(عبيد) لها، وهذا تصور لدى زيمل قد يأخذ تصورا آخر عند ماركس الاغتراب أو أفكاره عامة عن الثقافة والبناءات القومية والتحديث وهو يقترب من تصورات ماكس فيبر عن سيطرة الحياة المعاصرة على الأفراد والجماعات، عندما أشار إلى أن الناس يعيشون في القفص الحديدي للثقافة الموضوعية، ويظهر ذلك في العديد من التصورات التي حللها زيمل حول الوعي الفردي والإنتاج الثقافي والمعرفي، الذي يوجد في المجتمعات الحديثة والتي تعكس عموما مدى إسهامات **زيمل** في النظرية السوسيولوجية.

7-مقاربة زيمل للنظرية السوسيولوجية [1]

يعكس تحليل إسهامات **زيمل** في مجال علم الاجتماع عامة النظرية السوسيولوجية على وجه الخصوص مدى تأثير هذه الإسهامات على تطور:

* النظريات السوسيولوجية المعاصرة وتحديثها لأساليبها البحثية والمنهجية، وتطويرها للإطار التصوري العام الذي ينطلق منه، وهذا ما تجسد بالفعل في رؤيته المتعمقة للعديد من الأفكار والقضايا والموضوعات التي تناولها بالدراسة والتحليل، ولاسيما أن هذه الرؤى شاملة لمجالات متنوعة اهتم بها **زيمل** بصورة معينة فلقد جاء تحليلاته لتضمن مجال علم النفس والفلسفة والأخلاق والتاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع،

* تحليلات **زيمل** لها أبعادا تحليلية ومنهجية مميزة، بحيث شملت ما يعرف بالوقت الراهن بالمدخل المتعدد، بين العلوم الاجتماعية من ناحية والعلوم الطبيعية من ناحية أخرى، وهذا ما ركز عليه زيمل في تحليلاته أو استخدامه لمنهج التعليم الهندسي الاجتماعي، والذي يعكس بصورة عامة مدى اهتمام زيمل بالأشكال والأنماط والعلاقات والبناءات والتنظيمات الاجتماعية، أو التركيز على الصور الشكلية العامة التي تميز بها المدرسة الألمانية التحليلية أو التركيبة الصورية، التي ظهرت خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين.

* يرى الكثير من المحللين لطبيعة التراث السوسيولوجي لنظرية علم الاجتماع المعاصر من أمثال **كوزير** و**جورجيزير** أن إسهامات زيمل في النظرية

[1] – عبد الله محمد عبد الرحمن : النظرية فيعلم الاجتماع ، نفس المرجع، ص324.

السوسيولوجية التقليدية أثرت كثيرا في النظرية السوسيولوجية الأمريكية لفترة طويلة، ولاسيما بعد أن ساعدت هذه التحليلات هذا العالم عن تغيير الاهتمامات من المدخل الميكروسكوبي في علم الاجتماع إلى النظرية السوسيولوجية العامة، ولقد جسد هذا المدخل الأول زيمل في نظريته ديالكتيكية العامة التي ارتبطت على وجه الخصوص بتحليلاته للعلاقات المتداخلة بين المستويات الفردية والثقافية تلك التحليلات ديالكتيكية التي تختلف بصورة كبيرة عن كتابات ماركس المعروفة ذلك لعده اعتبارات واضحة نذكر أهمها:

* طبيعة تحليلات زيمل الخاصة عن التفاعل الاجتماعي وصوره المتعددة وطبيعة التغير الذي يحدث على البناءات وأشكال العلاقات الاجتماعية عندما تتغير من حسب الحجم والمحتوى والمضمون في العلاقات وصورها المختلفة.

* تعكس تحليلات زيمل الخاصة عن البناءات الاجتماعية الكبرى طبيعة التباين والاختلاف الذي يحدث في صور العلاقات الاجتماعية الفردية وظهور الأنماط (العلاقات الاجتماعية) الأكثر سيطرة أو ظهورا أو انتشارا في هذه البناءات.

* تكمن أهميه كتابات زيمل وإسهاماته النظرية السوسيولوجية من خلال تعليله للصراع، الذي يحدث بين البناءات الاجتماعية الفردية.

المحاضرة الخامسة: مقاربة موريس هالبوكس

1-موريس هالبوكس والذاكرة الجمعية

2- المورفولوجيا الحضرية عند موريس هولبواكس

3- هولبواكس والسوسيولوجية الحضرية

1-موريس هالبوكس والذاكرة الجمعية

يعتبر علم الاجتماع الفرنسي موريس هالبوكس المؤسس الفعلي لعلم الاجتماع الذاكرة، وذلك بفضل اعماله السوسيولوجية التي ظهرت قبل نحو قرن من الزمن، واهتم فيها بموضوع الذاكرة التي كان ينظر اليها باعتبارها عملية داخلية ترتبط بالفرد المتذكر وتنحصر فيه، لقد شدد هالبوكس في عمله الاول الاطر الاجتماعية للذاكرة، على أن الذاكرة هي أيضا ظاهرة مجتمعية وليست مجرد ارث بيولوجي، كما كانت تعتقد الاوساط العلمية في وقته، مستغربا ان يتعرض هذا التصور المستجد لانتقادات عدة، حيث تم اعتبارها تعاملا فضفاضا مع ظاهرة نفسيه داخلية لا تعد من قضايا البحث السوسيولوجي، وهذا ما دفعه هالبوكس طوال السنوات التي تلت صدور هذا الكتاب الاول الى الاشتغال بعمق اكبر بنظريته حول البعد الاجتماعي للذاكره في عمل جديد.

يتخذ هالبوكس في الفصل الأول من الذاكرة الموسيقية أو على وجه الدقة ذاكرة الموسيقيين مثالا ملموسا لتوضيح تصوره للذاكرة الجمعية، بعد النقد الشديد الذي وجه إليه، بوصفها ذاكرة مخصوصة بجماعه بعينها تعبر عنها بدقة، وفي هذا الإطار يرى أن الذاكرة الموسيقية عند جماعة الموسيقيين أوسع وأكثر دقة من الذاكرة التي عند غيرهم، مضيفا أن الرموز الموسيقية المصطنعة هي أكثر من مجرد عمل دماغي، بل أنها عرف واصطلاح منغلق أنتج في عالم الجماعة الموسيقية التي هي وحدها ما يمكنك التعامل معه في وسط اجتماعي متكامل من الموسيقيين، وهنا ينتقد وجهه النظر الفيزيولوجية المحظة التي تكتفي بالتسليم بان الدماغ البشرية وحده يكفي للقيام بعمليه استدعاء الذكريات وتمييزها.

يؤكد هالبوكس أن ذكرياتنا تبقى رغم فردانيتها الظاهرية ذات طبيعة مشتركة ومن ثم فهي جمعية، وذلك حينما يذكرنا بها المجتمع المحيط بنا، مع أنها أحداث تعنينا

وحدنا، مضيفا أننا لسنا في الحقيقة وحيدين البتة، ومن هذا المنطلق يرى أن النسيان لا يمكن فهمه ببساطة بوصفه عملية فيزيولوجية فهو مرتبط بتلك الأطر الاجتماعية نفسها المؤثرة في عملية التذكر الفردية، وأن ننسى فترة من حياتنا هو ان نفقد الصلة بأولئك الذين كانوا يحيطون بنا في تلك الفترة، وعلى هذا الأساس يقدم هالبوكس في فصله الثاني تمييزا أوليا بين نمطين من أنماط التذكر الفردي والتذكر الجمعي، معتبرا أن النمط الأول اعسر واعقد من النمط الثاني، لكنه هو الأيسر في استعادة أحداث وقعت ضمن الحيز العام أما النمط الأول فهو خاص وشخصي ويفسر هذه المفارقة بقوله:(أن الذكريات الأصعب في استحضارها هي تلك التي لا تخص سوانا تلك التي تشكل ملكيتنا الأشد حصرية)، ذلك انه هالبوكس لا يرى أي تعارض بينهما، معتبرا أن كل ذاكرة فردية هي وجهة نظر تطل على الذاكرة الجمعية، وهذا تحديدا ما يسهل في شرحه في مستهل الفصل الثالث المعنون بالذاكرة الجمعية والذاكرة التاريخي، مشيرا أن الذاكرة الفردية ليست مغلقة ومعزولة لكي يستذكر المرء ماضيه الخاص، هو في حاجة إلى ذكريات الآخرين، وعلى هذا الأساس يرى أنهما في علاقة تكاملية رغم إقراره في الوقت نفسه بأننا لسنا معتدين بعد على التحدث عن ذاكرة الجمع، مضيفا أن استناد ذاكرة الفرد إلى ذاكره الجمع، إنما هو لسد ثغرات الذاكرة الفردية من دون أن يقلل هذا الأمر من استقلاليتها ودورها في تشكيل الذاكرة الجمعية، التي تتطور وفق قوانينها الذاتية وفي نهاية المطاف هي مؤلفة من ذاكرات فردية متعددة ومتنوعة تسهم في تأسيس الوعي الجمعي للجماعة التذكرية حالما تتموضع بصورة لا فردية[1].

[1] - زهير سوكاح: مراجعة لكتاب الذاكرة الجمعية هلبواكس، مجلة تبيان ، ع33، المملكة المغربية ،2020، ص175.

كان لكتابات عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي موريس هالبواكسس تأثيرات واضحة على الأبحاث الحديثة حول الذاكرة في مجال العلوم الثقافية، حيث تبلورت عبرها نظرية الذاكرة الجمعية، والتي تعتبر أن عملية التذكر الفردية لا يمكن أن تنشأ أو أن تتم إلا ضمن إطار اجتماعي معين؛ فعلى عكس التصورات العلمية السائدة في عصره، والتي كانت تنظر إلى الذاكرة وعملية التذكر الفردية كوظيفة بيولوجية محضة، ربط هالبواكسس في دراساته حول الذاكرة الجمعية الذكريات الشخصية للفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه، واعتبر أن الإطار الاجتماعي .

والذي تنشئه ثقافة مجتمع ما. يسهر على وضع نسق جمعي يجعل الخبرات الفردية قابلة للتذكر و للتفسير.

لم تعد الذكريات الفردية إذن متمركزة ومنحصرة في داخل الفرد بل أضحت تملك مكانا لها ضمن المنظومة الاجتماعية كنتيجة لتفاعل هذا الفرد مع محيطه الاجتماعي، فعن طريق الحوار مع الآخرين (مثلا مع أفراد الأسرة أو الأصدقاء أو غيرهم) يتسنى للمرء تذكر محطات وتجارب هامة في حياته.

يتألف المجتمع البشري من مجموعات اجتماعية مختلفة تمتلك كل واحدة منها على حدة رصيد داخلي و مشترك بين أفرادها للذاكرة وللمعرفة. يعتبر هالبفكس الذاكرة المشتركة لجماعة بشرية معينة، شرطا لا محيد عنه لوجود هذه الجماعة نفسها، حيث أن هذه الجماعة البشرية تأسس هويتها عبر فعل التذكر، هذه الهوية الجماعية هي إذن نتيجة للتفسير المشترك للماضي الخاص بهذه الجماعة، بعبارة أخرى تتشكل الهوية المافوق فردية عند الاستدعاء المشترك لماضي تلك المجموعة الاجتماعية. على هذا الأساس يمكن القول أن الذاكرة الجمعية هي ذاكرة الذاكرات الجماعية أو مجموع هاته الذاكرات في مجتمع بشري ما. وهنا أيضا تتجلى بوضوح وظيفة الذاكرة الجمعية، كما يراها هالبواكسس، ألا وهي تأسيس "هوية" المجتمع وضمان سيرورتها.

من جهة أخرى، تجدر الإشارة إلى أن معظم النصوص العربية (القليلة) التي تعرضت لهذه المسألة، تخلط بين مفهومي الذاكرة الجماعية والذاكرة الجمعية، مما يجعل عملية التفريق بين المستويين الجماعي والجمعي لمفهوم الذاكرة في تلك النصوص ضربا من العبث، هذا اللا تدقيق الاصطلاحي مرده على ما يبدو إلى عدم وجود كتابات مرجعية أو ترجمات معمقة حول الماهية السوسيوتقافية لمفهوم الذاكرة باللغة العربية.

إن الفرق الجوهري بين مفهوم الذاكرة الجماعية ومفهوم الذاكرة الجمعية لدى هالبواكسس، يتجلى في كون الذاكرة الجماعية خاصة بجماعة وحيدة معينة داخل مجتمع ما، أما الذاكرة الجمعية فهي ذاكرة مشتركة بين مختلف الجماعات المكونة للمجتمع، وبعبارة أخرى الذاكرة الجمعية هي مجموع كل هاته الذاكرات الجماعية.

كان لموريس هالبواكسس إذن السبق في التنظير للذاكرة كظاهرة مجتمعية وثقافية وبالتالي تفسيرالثقافة والهوية كنتيجة لفهم نشط للذات وكامتلاك جمعي للماضي وليس كنتاج للوراثة البيولوجية.

تعرضت نظرية هالبفاكس لنقد شديد خصوصا من قبل زملائه في جامعة ستراسبورغ، حيث تم اعتبارها "تعميم غير مشروع لظاهرة نفسية فردية محضة". الشيء الذي دفع بهالبواكسس من جديد إلى إعادة تقديم وشرح تصوره حول الذاكرة الجمعية كظاهرة مجتمعية بشكل مفصل في كتابه "La mémoire collective" والذي اشتغل عليه أزيد من خمسة عشر سنة، لكنه صدر غير مكتملا سنة1950.

في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ضلت كتابات هالبواكسس التنظيرية حول الذاكرة الجمعية في طي النسيان، أيضا لم يتلقى الجانب السوسيوثقافي للذاكرة بصفة عامة أي اهتمام يذكر.

أما اليوم فلا يمكن الحديث في مجال العلوم الثقافية حول هذه الظاهرة المجتمعية والثقافية دون الرجوع إلى الإطار التنظيري الذي أسسته كتابات هالبولكس حول الذاكرة الجمعية. والجدير بالذكر أن نظرية هالبواكسس قد شكلت المنطلق الرئيسي للمؤرخ الألماني المعاصر يان أسمان (Jan Assman) في تأسيسه لنظريته "الذاكرة الحضارية" والتي يمكن اعتبارها امتدادا لنظرية الذاكرة الجمعية في ميدان العلوم الثقافية.

2- المورفولوجيا الحضرية

شكلت المورفولوجيا موضوع بحث في حقل العلوم الاجتماعية، خاض غمار البحث فيه الكثير من الرواد السوسيولوجيا، يتقدمهم: إميل دوركايم وجورج زيمل. لينحو على منحاهما موريس هولباكس كذلك، والذي بادر إلى طرح فكرته حول هذا الموضوع، مفرد له عمل مستقل سماه: المورفولوجيا الاجتماعية"، أبان فيه عن اختلاف جديد مع أستاذه وزميله دوركايم في تصور المعنى هذا المفهوم ومعطيا إياه أبعاد كثيرة ومختلفة .

مفهوم المورفولوجيا الاجتماعية عند هالبواكس: يعتبر هالبواكس أن المظهر الخارجي للأشياء المعدنية وتنظيم الطبقات الجيولوجية وأشكال النباتات والكائنات الحية، وبنية الأعضاء والأنسجة..، كلها أمثلة للدراسات المورفولوجية في مجال العلوم الطبيعية. أما في المجال الاجتماعي، فيجري الحديث كذلك عن الأشكال ولكن كمفهوم غامض ومجازي في بعض الأحيان. هذا ما دعى هالبواكس، من أجل تقريب المعنى الذي يريده وإبراز فكرته على نحو صحيح، أن يسوق لنا في هذا الإطار مجموعة الأمثلة الآتية[1]:

[1] شوقي قاسمي : تحليل نقدي للنظريات الاساسية في علم الاجتماع الحضري ، مطبوعة موجهة لطلبة السنة اولى ماستر علم الاجتماع الحضري، قسم العلوم الاجتماعية ، جامعة بسكرة، ص 36.

شكل توزيع السكان على مساحة الأرض، يعد واقع مادي محض في مظهره، ينتج عن المكان المائل أمامنا وعن الظروف المحلية. وأن هيئة الجماعة تعيد إنتاج أشكال الطبيعة المادية: مجمع سكاني في جزيرة معينة منتظم حول بحيرة أو منتشر في واد أو تجمعا مدنيا يشبه كتلة مادية تتمحور عناصرها حول نظرة مركزية وذات محيط واضح تقريبا . .

بنية جماعة سكانية هي تكوينها من الجنسين ومن الأعمال المختلفة، والفروق في هذا المجال تكون ملموسة وفي نفس الأهمية للخصائص المادية.

ولا ينظر هالبواكس هنا، إلى هذه المجتمعات في علاقاتها بالأرض فقط، بل هي ذاتها كتل حية ومادية، لها مثل جميع الأشياء الملموسة امتداد وحجم وشكل وحتى وزن نوعي، كما أن ما رأيناه حتى الآن، ينطبق كذلك على المجتمعات الحيوانية وليس بيت النمل وحده، بل كذلك حوض السمك وخلية النحل... لها ميزات من النوع ذاته من حيث الحجم، وصورة الجماعات البشرية، وتستطيع أن تقيم في مكان معين، وأن تغير موضعها وشكلها، كما تتميز الأعضاء فيها حسب العمر والجنس.. .

وهنا يستشهد هالبواكس بمثال جديد، ليبين لنا فيه جانب أخر من المورفولوجيا الاجتماعية، وهو العائلة تحليل بنية عائلة معقدة ومندمجة في عائلات أخرى جزئيا، ولو كان تمركزها في المكان غير محدد، فهي تظهر ماديا في لوحة النسب. وبنظرة تخطيطية لمختلف الفروع والتفرعات. وهناك عنصر مكاني في العائلة، رغم أن عددا من أعضائها يبتعد عنها ويخضع لتجاذب جماعات أخرى. فإن فيها ما يشبه نواة دائمة[1].

[1] - شوقي قاسمي : تحليل نقدي للنظريات الاساسية في علم الاجتماع الحضري ، 37.

ومع ذلك فإن قربي الدم والمكان لا تكفيان لتكوين العائلة في تقاليدها وروحها. حيث أن تنوع علاقات القربى والدرجات غير المتساوية التي تميز الترابط العائلي تنقلنا إلى عالم من التصورات والحالات العاطفية التي ليس فيها شيء مما هو مادي. ولهذا التفسير واقعه كذلك، فهو يدخل في الوعي الذي تكونه العائلة عن ذاتها وفي تغيراتها وتصرفاتها وتماسكها .

المحاضرة السادسة: مدرسة شيكاغو وابدعاتها

1-الحضرية ومدرسة شيكاغو

2-التمييز بين الريف والحضر

3-استخدام المعيار الواحد في تمييز الريف من الحضر

4-استخدام مركب السمات في تمييز الريف من الحضر

5-المتصل الريفي الحضري ودراسة الفروق الريفية الحضرية

6- خصائص الحياة الحضرية

7-مشكلات المجتمع الحضري

1-الحضرية ومدرسة شيكاغو

تلخصت أفكار **مدرسة شيكاغو** عن الثقافة الحضرية في مقالة مشهورة نشرت عام 1938 من قبل **لـويس ويـرث** بعنوان " **الحضـرية كطريقـة للحيـاة** " ، وتتمثل الخصائص التي قدمها **ويرث** في ما يلي " تقسيم معقد للعمل يعتمد على بناء مهني يتسم بالتباين ، بحيث يشكل أساسا لنسق التدرج الاجتماعي ، معدل عال للتنقل (الحراك المكاني الاجتماعي) ، الاعتماد الوظيفي والتساند المتبادل بين الناس ، اللاشخصية في العلاقات وانقسامية الأدوار الاجتماعية ، الاعتماد على أساليب غير مباشرة للضبط الاجتماعي والانحراف المعياري [1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن مفهوم الحضرية حظي بدراسة كثير من العلماء باختلاف مدارسهم ،و قد تضمنت كتابات كل من " **جـورج زيمـل – بيتـرم سـوروكين– زمرمـان – بـارك – سـبايك مـان** " عرضا لبعض الخصائص للحياة الحضرية باعتبارها أسلوبا خاصا للمعيشة أو لطريقة الحياة ، ويرى " **السـيد عبـد العاطي السيد** " أن معظم هذه التحولات التي قدمها العلماء ، أجمعت على التأكيد على الخصائص التالية [2]:

– تطوير نسق أكثر تعقيدا لتقسيم العمل يعتمد على بناء مهني يتسم بالتباين، بحيث يشكل أساسا لنسق التدرج الطبقي .

– ارتفاع معدلات الحراك الاجتماعي والفيزيقي (المكاني).

[1] – تأليف نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع: المرجع السابق ، ص 498–499 .

[2] – السيد عبد العاطي السيد : المرجع السابق ، ص 96 .

– الاعتماد الوظيفي والتساند المتبادل بين الأفراد .

– انتشار وسيطرة نسق من العلاقات يتسم بالطابع السطحي وغير الشخصي إلى جانب سيطرة الطابع الانقسامي على الأدوار الاجتماعية .

– الاعتماد على الأساليب غير المباشرة للضبط الاجتماعي .

ووجهت عدة انتقادات إلى صاحب الحضرية كطريقة للحياة يمكن تلخيصها فيما يلي [1]:

* حاول أن يعمم النتائج التي توصل إليها من أبحاثه وملاحظاته المستندة أساسا من مدينة **شيكاغو**، وكان من المناسب والأجدر قبل ذلك أن يجري عدة مقارنات تاريخية بين المجتمعات .

* ذلك أنه حتى في داخل أمريكا أيضا يوجد في مسار المقيمين الحضريين (أهل الحضر)، تنوع في أسلوب الحياة في الأوساط شبه الحضرية ، حيث أن كل مدينة تنتج نموذجا للثقافة الفرعية الخاصة المرتبطة بالبناء الاجتماعي .

*إن الكثافة السكانية ليس لها اثر موحد مهما كانت خصائص السكان ، على العكس من ذلك فان هذه الآثار تتغير حسب درجة تحكم الجماعات المعنية في مستقبلها وحسب النموذج الثقافي المرجعي لديها .

* أن العلاقات الاجتماعية الثانوية ليست بالضرورة بديلة عن العلاقات الأولية ، فكل نوع منها يمكن أن ينمو بصورة متكاملة ، والمثال على ذلك العلاقات المعروفة في العائلة الممتدة فإنها في نطاق التحضر يمكن أن تعرف تجديدا في المعنى .

2– التمييز بين الريف والحضر

[1] – محمد بومخلوف : المرجع السابق ، ص 30–31 .

لقد صدرت العديد من الدراسات التي حاولت حصر مميزات المجتمع الحضري ، من أجل فهم المعايير الاجتماعية التي تنظم العلاقات والتي تتحكم في الصلات والتصرفات السلوكية بين أعضاء المنتمين إلى المدينة ، لكن هذه الدراسات لم تتفق حول تحديد دقيق لهذه السمات ، حيث ركزت على تمييز المجتمع الحضري من خلال مقارنته بالخصائص الاجتماعية والثقافية للمجتمع الريفي .

3- استخدام المعيار الواحد في تمييز الريف من الحضر

يقوم هذا الاتجاه على الرجوع إلى محك أو معيار واحد في تمييز المجتمع الريفي من المجتمع الحضري ،و قد اتبعت في هذا الصدد عدة طرق منها ما يلي :

أ- **الحجم أو عدد السكان :** يركز أصحاب هذا الاتجاه على حجم المجتمع وعدد سكانه ، فالمجتمع الريفي هو ذلك المجتمع الذي يقل عدد أفراده عن عدد معين ، والمجتمع الحضري هو ذلك المجتمع الذي يزيد عدد سكانه عن حد معين بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى ، ويفترض أصحاب هذا الاتجاه أن كثرة عدد السكان يستتبعه حدوث العديد من المتغيرات مثل استحداث العديد ، وهذا المحك هو الذي تأخذ به هيئة الأمم المتحدة ،كما تعتمد عليه كثير من دول العالم كالولايات المتحدة الأمريكية " إذ تجعل الرقم الفاصل بين التجمعات السكانية الريفية والحضرية هو 2500 نسمة ، حيث إذا زاد عن هذا كان التجمع السكاني حضريا ، وإذا قل كان ريفيا [1]."

ولعل الاعتراض الأساسي على هذا الاتجاه يتمثل في أن الخصائص الديموغرافية لا تتضمن الخصائص الاجتماعية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان هذا المحك ربما يخدم الأغراض الإحصائية ، إلا انه غير مقيد من الناحية

[1] -عبد القادر القصير : الهجرة من الريف إلى المدن ، دراسة ميدانية عن الهجرة من الريف إلى المدن في المغرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1992 ، ص 34 .

الاجتماعية ، فمعيار الحجم معيارا نسبيا يختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمن إلى آخر .

ب- **المعيار الإداري** : يقوم هذا التصنيف على أساس الوحدات الإدارية داخل الدولة ، فالتقسيم الإداري للدولة هو الذي يحدد المجتمعات الريفية والمجتمعات الحضرية ،و تأخذ جمهورية مصر العربية بهذا الاتجاه إذا " يعتبر التجمع السكاني حضريا وفق المعيار الإداري كل ما هو عاصمة للمحافظة أو عاصمة للمركز ، باستثناء المناطق الصحراوية ، على أن يكون التجمع السكاني القروي هو ما ليس عاصمة لمحافظة أو مركز من المراكز الإدارية [1]. "

ج- **المعيار الضريبي** : إن بعض دول العالم تتخذ من هذا المعيار أساسا للتفرقة بيم المناطق الريفية والمناطق الحضرية ، فإذا كانت الضرائب المفروضة خاصة بالإنتاج الزراعي والأراضي الزراعي فقط ، صنفت هذه المنطقة على أنها ريفية ، أما إذا كانت الضرائب خاصة بالعقارات ، أي تلك التي تقع على المباني والمنشآت الصناعية والتجارية صنفت المنطقة على أنها حضرية .

د- **المعيار العمراني** : تتميز المدينة عن الريف بالأبنية الشاهقة والشوارع العريضة والمرافق المختلفة كالأسواق والجسور والفنادق والمدارس والمطاعم والمقاهي ودور السينما والمسارح والأندية والجامعات والمدارس والمعاهد .. ولهذا اعتمد البعض على هذا المعيار ، ويبقى هذا المحك هو الآخر غير كاف للتصنيف بين المجتمعات الريفية والحضرية .

هـ- **المعيار المهني**: وأساس التصنيف عدد أنصار هذا الاتجاه هو المهنة التي يمارسها غالبية أعضاء المجتمع ، ومن بين رواد هذا الاتجاه المفكر العربي" **ابن**

[1] – عبد القادر القصير : المرجع نفسه ، ص 35 .

خلدون" الذي أورد فصولا في التمييز بين البدو والحضر وأرجع **ابن خلدون** الفروق بين البدو والحضر فروق في مصادر الإنتاج والمهنة ،فحسب رأيه أن البدو يقومون على الزراعة ،أما الحضر فهم أهل الصنائع وعمران وجاء بعده بعدة قرون من يؤيد هذا الاتجاه .

ويرى أنصار هذا الاتجاه أي المحدثين منهم أن المناطق الريفية هي المناطق التي يعمل أغلب أفرادها بالزراعة ، أما المناطق الحضرية فهي تلك المناطق التي يمتهن أغلب سكانها مهنا أخرى غير الصيد والزراعة ، وتعتبر ايطاليا من بين الدول التي تعمل بهذا الاتجاه .

ومن شأن هذا الاتجاه أن يخرج العديد من المجتمعات من الإطار الريفي إلى الإطار الحضري مثل القرى السياحية أو الصناعية ، كذلك فان العمل الزراعي قد يمارس بأساليب حديثة من خلال استخدام التكنولوجيا .

4- استخدام مركب السمات في التمييز بين الريف والحضر

نظرا لفشل أنصار المعيار الواحد أو المحك الواحد في التمييز بين الريف والحضر، ونظرا لخصوصية المجتمع الريفي والمجتمع الحضري والتي تجعل من الصعب الارتكاز على عامل واحد من أجل التمييز ، فحجم الوحدة التي يعيش فيها السكان أو تعدادهم أو نشاطهم المهني ، أو تقسيم إداري معين هي محكات غير كافية ، ولهذا جاء أنصار الاتجاه الاجتماعي الذين يرون أن المعيار الحقيقي في التمييز بين الريف والحضر هو شكل العلاقات ، فالعبرة ليست في عدد السكان ولكن بنوعية العلاقات الإنسانية التي تميز الحياة الحضرية عن الريفية ، وكذلك نماذج الجماعات المنتشرة ونوعية المعايير التي تنظم سلوك الناس وأنماط الضبط السائدة داخل

المجتمع ، ولذلك لجأ بعض الباحثين إلى استخدام عدة معايير أو ما يعرف بمركب السمات .

ومن أقدم المحاولات التي بذلت لتحديد خصائص المجتمع الحضري عن طريق مقارنته بالمجتمع الريفي محاولة كل من " **سور وكين** " و " **كارل زيمرمان** " ، وقد ميزا بين الريف والحضر وفقا للأسس التالية [1]:

- الاختلافات المهنية

- الاختلافات البيئية

- حجم المجتمع

- كثافة السكان

- تجانس السكان أو عدم تجانسهم نفسيا واجتماعيا وثقافيا ولغويا وكذلك من ناحية المعتقدات وأنماط السلوك ، درجة الحراك الاجتماعي ، معدلات الهجرة ، شكل التباين الاجتماعي ، أنساق التفاعل الاجتماعي .

وتتلخص محاولة **سور وكين** و **كارل زيمرمان** في نظرتهما إلى " المهنة " على أنها المحك الأساسي بين نموذجي المجتمع من فروق واختلافات [2].

كما طور " **راد فيلد** " ثنائية تقابل بين مجتمع شعبي أو قروي وآخر حضري ، فالمجتمع الشعبي أو القروي كما يقول :" مجتمع صغير ، منعزل ، أمي ، متجانس يربط بين أعضائه إحساس قوي بالتضامن ... والسلوك فيه تقليدي وتلقائي

[1] – هالة منصور : محاضرات في موضوع علم الاجتماع الحضري ، المكتبة الجامعية ، الإسكندرية ، 2001، ص 120 –121 .

[2] – السيد عبد العاطي السيد : المرجع السابق ، ص 68–70 .

وشخصي، وفي هذا المجتمع يطغى كل ما هو مقدس على كل ما هو علماني ، كما أن الاقتصاد يعتمد على المكانة أكثر من اعتماده على السوق [1]."

وفي نفس السياق كانت نظرية " **ويرث** " الذي يرى أن المدينة تتميز عن الريف بعدة خصائص وضعها في ما يلي : [2]

الحجم الكبير للسكان ، شدة الكثافة ، النمو المصحوب بظهور نظام علماني وانهيار المعيار الأخلاقي ، اللاتجانس ، شيوع الضوابط الاجتماعية الرسمية ، سيادة الضوابط الرسمية .

ولكن حتى أعمال هذا الاتجاه (المحكات المتعددة) لم تسلم من النقد وخاصة " **راد فيلد** " و " **ويرث** " فقد تم نقد هذه الأعمال من طرف الأنتربولوجي " **لويس أوسكار** ".[3]

[1] – عبد القادر القصير : المرجع السابق ، ص 39 .

[2] – محمد الجوهري : دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة، ص 195 196 .

[3] – السيد عبد العاطي السيد : المرجع السابق ، ص 80–82 .

5- المتصل الريفي الحضري ودراسة الفروق الريفية الحضرية

نظرا للنقص الواضح الذي ميز أعمال نظرية الثنائيات الريفية الحضرية ، والتي لم تنجح في تقديم نظرية شمولية تفسر الفروق الريفية الحضرية ، وأصل بعض العلماء جهودا أخرى مغايرة لتطوير نظرية أكثر كفاءة من النظريات السابقة ، وبرزت نظرية المتصل الريفي الحضري .

ويذهب أصحاب هذه النظرية إلى وجود نوع من التدرج القائم من المجتمعات في درجة التريف والتحضر ، حيث يصبح من السهل بعد ذلك تصنيف أي مجتمع على نقطة من هذا المتصل ، فهناك تدرج واضح يبدأ من القرية الصغيرة إلى الكبرى ثم المدينة الصغيرة فالمدينة الكبيرة ثم المجتمع المسيطر ، فتصنيف الريف ثم الحضر يتم وفقا للفروق الكمية في السمات المميزة للريفية والحضرية ، وتستند فكرة " المتصل الريفي – الحضري " من الناحية النظرية إلى افتراضين أساسين الأول هو أن المجتمعات المحلية تتدرج بشكل مستمر من الريفية والحضرية ، وفقا لعدد من الخصائص ، والثاني أن هذا التدرج يصاحبه بالضرورة اختلافات أو فروق متسقة في أنماط السلوك .[1]

ومع أن أصحاب فكرة المتصل الريفي – الحضري لم يحصروا تلك الفروق المتسقة التي تحدث في أنماط السلوك والمصاحبة للتدرج المستمر في بعض المجتمعات ، إلا أن علماء الاجتماع الحضري وضحوها كما يلي : [2]

---

[1] – محمد الجوهري : المرجع السابق ، ص 209 .

[2] – هالة منصور : المرجع السابق ، ص 136 .

- البناء المهني
- التدرج الاجتماعي
- الحراك الاجتماعي
- المشاركة في التنظيمات الطوعية
- العزلة السكنية
- التساند الوظيفي
- العلاقات الاجتماعية

ومع هذا فان أصحاب نظرية المتصل الريفي – الحضري ، وعلى الرغم من أنهم تغلبوا على بعض المشكلات القياسية التي واجهت استخدام المعيار الواحد أو مركب السمات ، فان أهم الانتقادات التي وجهت إلى جميع الدراسات ، سواء منها ما استخدم المعيار الواحد أو المعايير المتعددة ، إن هذه الفروق التي تميز الحياة في الريف عن الحياة في الحضر يمكن أن تختلف من ثقافة إلى أخرى .

6- خصائص الحياة الحضرية

لم تستقر الآراء بين العلماء في مجال علم الاجتماع الحضري حول العناصر الاجتماعية التي تميز المجتمع الحضري عن غيره ، وهناك عدة عناصر لذلك أهمها[1]:

6-1 اللاتجانس أو التغاير الاجتماعي :من ابرز مميزات المجتمع الحضري عدم التجانس النسبي ، فالمجتمع الحضري يضم في جعبته الكثير من الفئات السكانية المختلفة والانتماءات والخلفيات القومية والطائفية والاقتصادية ... وهذا ما ينعكس

[1] – بويعلي وسيلة : زواج الأقارب في المجتمع الحضري وانعكاساته على الأسرة ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير علم الاجتماع العائلي ، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية ، قسم علم الاجتماع ، إشراف : زمام نور الدين ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2004-2005 ، ص 32-33 .

بصورة واضحة على سلوك الأفراد ، فنجد أن هذا النمط من الحياة يشجع ويؤكد الفروق الفردية ، وكل هذا يجعل المدينة موطنا للتغاير واللاتجانس ، فتصبح كبوتقة تختلط فيها الأجناس والثقافات المتغايرة ، ويتحقق تكامل المجتمع من خلال ما يطوره هذا الاختلاف والتغاير من تضامن بين الأفراد ، يكون على أن هذا الاختلاف والتغاير من تضامن بين الأفراد على أساس نفعهم لبعضهم البعض ، وليس على أساس تماثلهم وتشابههم .

6-2- الطابع الثانوي للعلاقات الاجتماعية وسيطرة الضبط الرسمي :إن أهم ما أوجده اتساع حجم المدينة هو التحول الحاصل في العلاقات الأولية وسيطرة الضبط الرسمي محل الضبط الثانوي للأسرة ، و ذلك نتيجة لاحتكاك سكان الحضر في حياتهم اليومية بحلقات من المؤسسات والأشخاص لقضاء حاجاتهم ، وذلك على نحو ما هو حادث في المكاتب والنوادي والجامعات ، وارتباط الإنسان الحضري بالآخرين يكون على أساس نشاطهم وأدوارهم أو ما يقومون به من وظائف ، وهذه الجماعات تختلف عن الجماعات الأولية ، والتي تميز المجتمعات الريفية والذي يكون التفاعل بين أعضائها بشكل مباشر ، وما تقوم به هذه الجماعات من ضبط لسلوك أفرادها ، وذلك على النقيض مما هو موجود في المجتمع الحضري ، الذي يمارس الضبط من خلال جماعات ثانوية مثل الشرطة ، المحاكم ...

وفي هذه الحالة تفقد الأعراف والتقاليد الشعبية إلى حد ما تأثيرها كموجهات للسلوك ، ولكن رغم سيطرة علاقات الجماعة الثانوية في المدينة ، إلا أن هذا لا ينفي القول بان مجتمع المدينة في ذات الوقت عبارة عن مجموعة من الجماعات الأولية المتداخلة التي تمارس قدرا لا يستهان به من ضبط السلوك .

6-3- التنقل والحراك الاجتماعي : من بين الخصائص التي ركز عليها علماء الاجتماع الحضري في وصف خصائص الحياة الحضرية والحراك الاجتماعي ، إذ

يوجد في مجتمع المدينة أهم المنظمات الاجتماعية التي تعتبر وسائل للحراك الرأسي كالمؤسسات الدينية والقيادات العسكرية والبرلمانات والجامعات التي يستطيع الفرد من خلالها صعود السلم الاجتماعي الحضري ، إضافة إلى الحراك الاجتماعي لأعلى وأسفل في معدلات الدخل التي ترتفع وتنخفض ،و الحراك الأفقي كالانتقال من جماعة أسرية إلى أخرى فيما يخص الزواج والطلاق ...بالإضافة إلى وجود الانتقال من منطقة إلى أخرى ومن عمل إلى آخر والانتقال من مكان إقامة إلى مكان آخر .

6-4- الفردية : تشجع الحياة الحضرية وباستمرار تأكيد روح الفردية ، وذلك كنتيجة حتمية للتزايد الهائل للسكان والتوسع الكبير للجموع البشرية ، بالإضافة إلى الطابع الثانوي والطوعي للروابط الحضرية ، وسهولة التنقل و الحراك الاجتماعي ، وتعارض المصالح وتعدد هذه العوامل من شأنها أن تؤثر على الفرد حيث يصبح هو المسؤول الوحيد عن قراراته وأفعاله وسلوكه ، وبالمقابل تتلاشى روح الجماعة وتتهاوى القيم المشجعة على ذلك من تماسك وتعاون في خضم الروابط والمنظمات الكبرى في المدينة .

6-5- سطحية العلاقات والروابط الاجتماعية: إن الروابط بين السكان تتميز بالسطحية ، وان هذه الخاصية ترتبط ارتباطا وثيقا بنمو وتباين السكان ، ويترتب على ذلك سيطرة الضبط الاجتماعي وظهور وسائل الاتصال بين الجماهير .

6-6- التخصص: تكشف الدراسات الحضرية المتنوعة على وجود تأكيد واضح على التخصص باعتباره سمة من سمات الحياة الحضرية في المدن ، فالحياة في المدن تعتمد على التخصص بصفة بارزة ، وهذا مرده إلى كثافة السكان واختلافهم، و ينتج معه اختلافات في الحاجات من خدمات وسلع وأكل وغذاء .. كما أن الكثافة السكانية تفرض وجود نوع من التخصص لتلبية المطالب المتزايدة ، والتخصص

يفرض تنظيم اجتماعي معقد لتقسيم العمل ووجود تخصصات متنوعة في مختلف المهن في مجال الخدمات والإنتاج .

6-7- الارتباط على أساس المصالح : إن خاصية الترابط على أساس المصالح أكثر وضوحا في المدينة عنها في المجتمع الريفي ، ويبدو هذا في علاقة الإنسان بغيره من المجتمع ، فالبرغم من أن سكان المدينة يسكنون بجوار بعضهم البعض ، إلا أن حياتهم قائمة على أساس ارتباط كل منهم بالآخر ، على أساس المصالح ، ويبدو ذلك في العلاقات الاجتماعية مع الأصدقاء والالتحاق بالنوادي أو جمعيات خيرية ... من أشكال التنظيمات الاجتماعية المتميزة للمدينة .

يستطيع ساكن الحضر أن يحدد دائما آخرين لهم نفس المصلحة ، ولهذا نجد معظم الجماعات في المجتمع الحضري تستند أساسا على المصالح المتخصصة ، نجد من بينها القوميات والنوادي ، وأصبحت مصلحة الفرد ترتبط بمصالح جماعة معنية ، كما أن الروابط تكون اختيارية وطوعية سواء على مستوى المهنة أو الهواية أو على مستوى الموطن الأصلي أو الديانة أو على مستوى السن والسلالة ،و لهذا نجد في المجتمع الحضري كيانات مختلفة إدارية ، سياسية ، جغرافية تفتقر دائما إلى الولاء والانتماء [1].

تعبر الخصائص السالفة الذكر عن واقع غريب من المجتمعات العربية ، ومن ثم فان هذه الخصائص تنطبق على واقع المدن الغربية والذي ميز نشأتها ونموها وبناءها الاجتماعي فهي (المدن الغربية) نتاج لنظام اقتصادي واجتماعي وفكري وحتى تاريخي .

[1] – بويعلي وسيلة : نفس المرجع ، ص 34 .

إن مثل هذه الظروف التي ساهمت في بروز خصائص بعينها للحياة الاجتماعية الحضرية في الغرب (أمريكا ، أوروبا) لا تنطبق على واقع المجتمع العربي ، ولهذا فان دراسة المدن العربية في حاجة أكثر للتوصل إلى بناء نماذج نظرية علمية تساعد في دراسة وفهم المجتمع العربي ، وفي إعطاء تفسير للظواهر الاجتماعية ومنها ظاهرتي : التحضر والحضرية .

7-مشكلات المجتمع الحضري

تختلف هذه المشكلات من بيئة إلى أخرى ومن دولة إلى دولة ، وهذا راجع إلى ظروف البيئة الاجتماعية والقيم التي تسودها والعوامل المختلفة والمؤثرة فيها ، هي التي تحدد نوع المشكلات التي تسود بيئة معينة دون غيرها ، وبناءا على هذا فان خصوصية المجتمع الحضري تفرض بعض المشكلات أهمها :[1]

7-1-تفكك المجتمع الحضري

إن التحضر يؤدي عادة إلى ضعف في العلاقات بين المجتمع ، فنجد أن الأفراد داخل العمارة الواحدة مثلا قد تمر عليهم سنوات دون أن يعرف الجار جاره ، وهذا عكس ما نجده في المجتمع الريفي من اتحاد الأفراد.

ويرى بعض الاجتماعيين أن التفكك الحاصل في المجتمعات الحضرية يؤدي إلى ضعف الضبط الاجتماعي ، فتقل بذلك سلطة المجتمع على أفراده ، ويصبح الإنسان داخل المجتمع الحضري لا يراعي العادات و التقاليد و لا يضع اعتبار للآخرين مما يؤدي إلى ظهور مشكلات مختلفة مثل تشرد الأحداث والبغاء وشرب الخمر وغيرها...

[1] – محمد عبد الفتاح محمد : الخدمة الاجتماعية في مجال تنمية المجتمع المحلي ، المكتب العلمي للكومبيوتر والنشر والتوزيع ، ط02 ، 1996 ، ص 125 .

7-2-الفقر

يرجع الفقر في المدينة إلى ضعف التكافل داخل المجتمع ، حيث يقل ترابط المجتمع والأسرة ، وتقل أيضا مسؤولية الأفراد عن أقاربهم ، مما يؤدي إلى وجود فئة من الناس لا مورد لها إلا سؤال الآخرين ، كما أن انشغال الناس في المدينة بأنفسهم يؤدي إلى تفشي ظاهرة الفردية وعدم معرفة الناس لبعضهم البعض مما يؤدي إلى انتشار ظاهرة التسول .

7-3-مشكلة محو الأمية

لعل من أهم المشكلات التي يواجهها المجتمع الحضري هي مشكلة محو الأمية ، التي أصبحت محاربتها جد ضرورية في عصر العلم والتكنولوجيا ، إذا أصبحت الحاجة ملحة إلى المعرفة والثقافة واكتساب المهارات المختلفة ، حتى يتكيف الإنسان مع التطورات المجتمعية الحاصلة ، وتعتبر مشكلة محو الأمية من أهم المشكلات في الواقع الاجتماعي في كل دولة نامية من دول العالم الثالث .

وقد أثبتت دراسات علوم التنمية والتربية والاقتصاد التربوي أن رأس المال البشري والأيدي العاملة المدربة مطلوبة ، وأن الإنسان المثقف هو أعلى إنتاجية من غير المثقف ، كما أن الأمم التي اهتمت بتثقيف أبنائها من الكبار كان عائد التنمية الاقتصادية لديها أكبر .[1]

ومن أجل مواكبة التطورات الحاصلة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي ، فان الدول العربية تعمل جاهدة للتقليل من نسبة الأمية في بلدها ، ومن أمثلة ذلك نجد أن الجزائر أولت اهتمام متزايد بهذه المشكلة ، حيث أنشأت في الآونة الأخيرة ما يسمى " بالديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار " وذلك بالتنسيق مع مختلف

[1] – قباري محمد إسماعيل : علم الاجتماع الحضري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ص 443 .

الجمعيات الوطنية مثل " جمعية اقرأ الوطنية " التي تعمل على تعميم التعليم في مختلف الفئات العمرية .

المحاضرة السابعة: المدرسة الفرنسية ومقاربة شومبارت دلو

1-المجال الحضري في مقاربة شومبارت دلو

2-المجال الخاص والتفسير الثقافي للمسكن

3-امتلاك المجال عند شومبارت دلو

1-المجال الحضري في مقاربة شومبارت دلو

مفهومه المجال[1]:

المجال الاجتماعي عند بول هنري شومبارت دلو، يتمثل في مجموعة جوانب من حياة السكان، ومن أجل دراسة أكثر تحديدا للحياة الاجتماعية يجب أولا حسبه دراسة الفئات الاجتماعية حسب: المهن، الدخل...، والجماعات الاجتماعية من مختلف النظم: جماعات محلية، جوار، جمعيات، طبقات اجتماعية، أحزاب سياسية، العائلة، الجماعات العرقية، جماعات ثقافية متعددة"2. ومنطلقه في ذلك، أن المجال الحضري في المدن الكبرى مصطنع من طرف الجماعات التي تقيم فيه، إذ تعمل كل جماعة على إسقاط قيمها الثقافية وتصوراتها على المجال، وهكذا برزت في المدن مجالات مختلفة تؤدي وظائف، وكل فئة اجتماعية لها مجالها الذي يتناسب ومعتقداتها وقيمها ومستواها الاقتصادي، كما أن هذه الجماعات تتجانس مجاليا. إذ أن المجال الاجتماعي محدد بأماكن مثل الترفيه.. والرموز التي تمثلها مجموع القيم كالكنائس..، وبواسطة المساحات وتوزيع الأفراد الذين ينتمون لمهنة محددة، وهذا بالتوافق مع أشكال المجال، التمركز الصناعي، طبيعة السكن، أو تقسيم السكان من نفس المستوى"3 .

2-المجال الخاص والتفسير الثقافي للمسكن

تعد جهود بول هنري شومبارت دلو في المجال الخاص وتفسيراته الثقافية للمسكن، أحد الإضافات الهامة في هذا المجال، وهو الذي اعتبره انعكاسا لتطلعات

[1] - شوقي قاسمي : تحليل نقدي للنظريات الاساسية في علم الاجتماع الحضري، ص 97.

[2] P.H. Chombert de lawe: Des hommes et des villes, payot, Paris. 1965, p. 44.

[3] 13. P.H.Chombert de lawe: L espace social dans une grand cité industrielle, P.U.F, Paris, p. 24.

المجتمعات والأسرة وصورة لهما. حيث كان يرى أن تفاصيل المسكن وحاجاته، ترتبط بنظرة الأفراد لواقعهم ولعملية انتمائهم الاجتماعي.

أما أهم مكان يترعرع فيه مفهوم السكن، فهو داخل مؤسسة الأسرة، فكلما تطورت الاحتياجات فيها ازداد التحول في أشكال السكن والمساكن (مثالا: المجتمعات التقليدية – المجتمعات الصناعية – المجتمعات في طور التحول).

ركز شومبارت دلو اهتمامه على الأسر الصغيرة وليست الكبيرة، لأنها نموذج التحول الاجتماعي الحاصل حاليا ولما توفره من راحة وهدوء لأعضائها داخل المسكن (بعد عمل متعب طوال النهار). وهذا ما ليس متواجدا في الأسرة الكبيرة، خاصة إذا كانت مساحة المسكن صغيرة وغير مناسبة لحجم أفرادها.[1]

3-امتلاك المجال عند شومبارت دلو

يشير مفهوم الامتلاك إلى معنيين أحدهما قانوني ويقصد به الحصول على عقد يضمن لصاحبه حرية التصرف بشيء معين سواء كان أرض أو مبني. أما المعنى النفسي الاجتماعي لعملية الامتلاك هذه والمستعمل من طرف علماء الاجتماع، فهو عبارة عن مجموع السيرورات النفسية التي تجعل الفرد أو الجماعة في حالة تكيف مع مجالها الفيزيقي الاجتماعي، ويلخص شومبارت دلو هذه السيرورات فيما يلي: "الممارسات، الإدراك، التصورات، الرغبات، القيم، الخيال المتعلق بهذا المجال".[2]

فإقامة الأفراد في مجال معين وتنظيمه حسب تصوراتهم والعلاقات التي يكونونها فيما بينهم، وكذلك بالنسبة للأشياء المادية الموجودة في هذا المجال ذات القيمة

---

[1] د. رجاء مكي طبارة: مقاربة نفس اجتماعية للمجال السكني : دراسة ميدانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ص 92-93 ، نقلا عن : شوقي قاسمي : تحليل نقدي للنظريات الاساسية في علم الاجتماع الحضري، ص 98.

[2] P.H.Chombert de lawe: L espace social dans une grand cité industrielle, P.U.F, Paris, p.42.نقلا عن : شوقي قاسمي : تحليل نقدي للنظريات الاساسية في علم الاجتماع الحضري، ص 98.

الرمزيـة، وحريـة انتقـال هؤلاء الأفـراد. فكـل هـذا يخلـق لـديهم شـعور بـامتلاك هـذا المجـال، فلكل فئـة اجتماعيـة فـي المدينـة مجالهـا الخـاص الـذي تشـعر فيـه بالراحـة، فغير ممكن لعامل أن يمتلك حـي برجوازي، وكذلك ممثل الطبقات المحظوظـة يكون دائما غريب في حـي العمال"[1].

كمـا أن للعامل الأول حسبه وهو الامـتلاك القانوني، دور جد هام فـي العامل الثـاني وهو الامـتلاك النفسـي الاجتمـاعي، فالشـعور بملكيـة المجـال يضـمنه عامل الامـتلاك قانونـا، وذلك مـا يتجلـى فـي قولـه: "الامـتلاك النفسي يظهر أكثر وضـوحا لأنـه مرتبط بالملكيـة الفيزيقيـة، فـالفرد الـذي يسـتحوذ قانونيـا علـى الأرض والعمـارات والأشـياء يستطيع أن ينظم كما يرى، فيشعر أنه سيد المجال الذي يحيط به"[2].

إلا أن عمليـة امـتلاك المجـال فـي المـدن تكـون دائمـا صـعبة، ذلـك لأن المجـال يمثـل عادة موضع للصراع بين أطراف اجتماعية مختلفة، وهذا بسبب التغيرات التـي تحدث لهـذا المجـال، "فالمجـال المبنـي فـي هـذه الحالـة مكـان الصـراع السـيطرة، المنافسـة، للمطالبة المحسوس بها في كل تفاصيل الحياة"[3].

فهناك عدة عوامل تحول دون امتلاك المجال من طرف الجميع في المدن، تتمثل فـي التنـاقض الموجـود بـين التطـورات التقنيـة التـي تهـدف إلـى تنظـيم المجـال العمرانـي، وعملية تهديد المحيد المتواصلة الناتجة من سوء استعمال هذه التقنيات، إذ أن تهيئة المجال المبني تخضع لسيطرة المال وسلطة البعض على المجال.

---

[1] 16 Ibid, p. 45

[2] Ibid, p. 47.

[3] P.H. Chombert de lawe: Des hommes et des villes, payot, Paris, 1965, p. 47.

وفي تقدير بول هنري شومبارت دلو هناك خمسة (05) مستويات لامتلاك المجال، وهي[1] :

امتلاك المجال الذي يتطلب قبل كل شيء تعديل المجال الموضوعي والمجال المتمثل. فهذا الامتلاك الذي يعطي الشعور بإمكانية إدماج الرغبات عن طريق تهيئته باستعمال الوسائل والأدوات داخل المجال، فهذا المستوى لامتلاك يرمي إلى مجال التوافق أو تطابق بين الرغبة والتمثيل يتماشى مع ثقافة الأفراد وحاجياتهم.

امتلاك المجال الاستاتيكى: وهو أن الألوان الجميلة والأشكال المتجانسة والعلاقة بينهما، هي التي تمد الفاعل بالإحساس بالسرور والكمال وتشعره بأنه في وضعية امتلاك.

امتلاك المجال السوسيوجغرافي: الذي يتوقف على درجة القدرة على التصرف بحرية، ويقصد به أنه كلما كان الفرد حرا في تصرفاته، كلما كان ذلك دليل على امتلاكه للمجال وبالعكس صحيح، أي أنه إذا قلت حرية الفرد في تصرفاته قلت قدراته على الامتلاك .

امتلاك المجال بدون حق: وهنا يؤدي الخيال دورا كبيرا، حيث أن الفرد يتخيل نفسه وكأنه في وضعية امتلاك .

امتلاك المجال البسيكولوجى: ومضمونه الامتلاك الشخصي، فالفرد الذي يملك المباني والعمارات والمساكن، يحس بأنه يسكن المنطقة وتكون درجة شعوره

[1] - شوقي قاسمي : تحليل نقدي للنظريات الاساسية في علم الاجتماع الحضري، ص 99.

بالامتلاك قوية، أما الذي لا يملك شيء ويقطن في مجال أو مسكن يملكه الآخرون، فرغم طول المدة التي قضاها في المجال إلا أنه يحس بأنه غريب.1

[1] P.H.Chombert de lawe: La fin des villes : Mythes ou Réalité, Ed colaman Lévy , Paris, 1982, p.46.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

1. احمد النكلاوي، دراسة في علم الاجتماع الحضري،دار النهضة العربية، القاهرة ، مصر ،1973.
2. بيتر ماكيفر شارلز، هـ- بيدج ، المجتمع، ج1، ت علي أحمد عيسى، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، نيويورك ، الولايات المتحدة الأمريكية ، 1957.
3. جوردن مارشال : موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة : أحمد زايد وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، 2000 ، مجلد 2 .
4. هالة منصور : محاضرات في موضوع علم الاجتماع الحضري ، المكتبة الجامعية ، الإسكندرية ، 2001.
5. وحيد حلمي حبيب، تخطيط المدن الجديدة ، دار ومكتبة المهندسين ، القاهرة ، مصر ،1991.
6. زهير سوكاح: مراجعة لكتاب الذاكرة الجمعية هلبواكس، مجلة تبيان ، ع33، المملكة المغربية ،2020،
7. زيدان عبد الباقي، علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية، المكتبة الانجلو-مصرية،مصر ،1974.
8. حجازي محمد فؤاد، الأسرة والتصنيع، مكتبة وهبه،مصر،1975.
9. حواس سلمان محمود ، أزمة التخطيط العمراني في المدن العربية، مجلة القافلة،ع2،مج44،السعودية .
10. حميد خروف وآخرون : الإشكاليات النظرية والواقع - مجتمع المدينة نموذجا- سلسلة علم الاجتماع ، قسنطينة ، منشورات جامعة منتوري ، 1999.

11. حسين عبد الحميد أحمد رشوان،المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، مكتبة الجامعي الحديث، الازاريطة، مصر ،1998.
12. كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر ،(د ط ت).
13. لويس ممفورد، المدينة على مر العصور أصلها،تطورها مستقبلها، إشراف ومراجعة إبراهيم نصحي،ج1،المكتبة الانجلو–مصرية، 1964.
14. ماكس فيبر. الاخلاق البروتستانية وروح الرأسمالية، ت: محمد علي مقلد، مركز الانماء القومي، لبنان ، بيروت،
15. **محمد بومخلوف** ، التحضر وواقع المدن العربية، دراسات في المجتمع العربي المعاصر، دمشق، 1999.
16. محمد الجوهري : دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة،1970.
17. محمد الجوهري وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري ،ط2، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 1975.
18. محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996،
19. محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1989
20. محمد عبد الفتاح محمد : الخدمة الاجتماعية في مجال تنمية المجتمع المحلي ، المكتب العلمي للكومبيوتر والنشر والتوزيع ، ط02 ، 1996.
21. محمود الكردي،النمو الحضري،ط3، دار المعارف،القاهرة،1980.
22. مريم أحمد مصطفى وآخرون، التغير ودراسة المستقبل،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،2002.

23. متعب مناف جاسم، التخطيط والمجتمع ، جامعة بغداد ، العراق ، 1976.

24. النوري قيس، الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2001.

25. سلمان عبد علي، المجتمع الريفي في العراق،دار الرشيد للنشر، بغداد،1980.

26. **السيد الحسيني،** المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، مصر 1981 .

27. عبد الله محمد عبد الرحمن: النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2006.

28. عبد الله خليفة،اثر العوامل الاجتماعية في توزيع السكان على أحياء مدينة الرياض،(د ط) ، الرياض ، السعودية،1980.

29. عبد المجيد عبد الرحيم ، علم الاجتماع الحضري ، المكتبة الأنجلو- مصرية، القاهرة مصر ، 1986.

30. عبد المنعم بدر، دراسات في التنمية الريفية،(د ط) دار المعارف ، مصر ،1979.

31. عبد المنعم شوقي : مجتمع المدينة – الاجتماع الحضري – بيروت ، دار النهضة العربية ، ط07 ، 1981.

32. عبد القادر القصير : الهجرة من الريف إلى المدن ، دراسة ميدانية عن الهجرة من الريف إلى المدن في المغرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1992.

33. عزت عبد الكريم وآخرون، المجتمع العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان.

34. فوزي رضوان العربي : أنماط التجمعات في الوطن العربي ، في كتاب ، دراسات في المجتمع العربي ، اتحاد الجامعات العربية ، الأمانة العامة ، 1985.

35. فرانسيس فوكاياما،التصدع العظيم، ترجمة عزه حسين كبة، ط1، بيت الحكمة، بغداد، 2004.

36. فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في علم السكان ،ط2، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر ،2000.

37. صلاح الدين شروخ: منهجية البحث العلمي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة ، الجزائر ، 2003.

38. صلاح العبد ، التوطين والتنمية والمجتمع بالوطن العربي،معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر ،1973.

39. قباري محمد إسماعيل : علم الاجتماع الحضري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر .

40. رايمون بودون ورينو فويول، الطرائق في علم الاجتماع، ت : مروان بطش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 2010.

41. رجاء مكي طبارة: مقاربة نفس اجتماعية للمجال السكني : دراسة ميدانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.

42. روبير أوزيل، فن تخطيط المدن ،ت بهيج شعبان،ط2،دار منشورات عويدات ،بيروت ، لبنان، 1982،ص05، 1996

43. تيماشيف نيقولا. نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، ت : محمود عودة، دار المعارف ، جمهورية مصر العربية ، 1970.

44. خواجة عبد العزيز: اساسيات في علم الاجتماع ، دار نزهة الالباب للنشر والتوزيع، غرداية، 2012.

المذكرات والاطاريح

45. احلام طواهرية: رؤية برنامج استراتيجية تنمية المدن التابع لمنظمة تحالف المدن في تخطيط المدن، دراسة تحليلية لاليات تفعيل البرنامج في الجزائر – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية تخصص ادارة الجماعات المحلية والاقليمية ، جامعة قاصدي مرباح.

46. ماهر عبد الواحد عزيز، التطور الحضري في مدينة أربيل،رسالة ماجستير في علم الاجتماع مقدمة إلـى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990 ص28،(رسالة غير منشورة).

47. رضا زراولية : التحضر والصحة في المجتمع الجزائري، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستر تخصص علم الاجتماع الحضري، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2011 .

المجلات والدوريات

48. بويعلي وسيلة : زواج الأقارب في المجتمع الحضري وانعكاساته على الأسرة ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير علم الاجتماع العائلي ، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية ، قسم علم الاجتماع ، إشراف : زمام نور الدين ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2004–2005 .

49. ياس اخضير البياتي ، الفضائيات، الثقافة الوافدة وسلطة الصورة، مجلة المستقبل العربي، العدد 267، 2001، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

50. مدبولي جلال، القيم الاجتماعية والتنمية بين الريف والحضر، بحث ميداني عن الخرطوم العاصمة، السودان، المجلة الاجتماعية القومية،ع23، يصدرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر 1986.

51. شوقي قاسمي : تحليل نقدي للنظريات الاساسية في علم الاجتماع الحضري ، مطبوعة موجهة لطلبة السنة اولى ماستر علم الاجتماع الحضري، قسم العلوم الاجتماعية ، جامعة بسكرة.

المراجع باللغة الاجنبية

52. Simon Parker, Urban theory and the urban experience, encountering the city, (New York: Routledge, 2004).

53. P.H.Chombert de lawe: L espace social dans une grand cité industrielle, P.U.F, Paris.